جبران خليل جبران



يسوع ابن الانسان

مكتبة صادر
بيروت

جبران خليل جبران

يسوع ابن الإنسان

نقله الى العربية

الأرشمندريت أنطونيوس بشير

مكتبة صادر
بيروت

يعقوب بن زبدي

ممالك العالم

في يوم من ايام الربيع وقـف يسوع في ساحة المـدينة في اورشليم وشرع يخاطب الجموع عن ملكوت السماء .

فانهم الكتبة والفريسيين باقامتهم فخاخـاً وحفرهم حفراً في طريق الراغبين في الملكوت ، موبخاً وزاجراً .

وكان بين الجموع رجال يدافعون عن الفريسيين والكتبة ، ففكروا في ان يقبضوا على يسوع وعلينا جميعاً .

ولكنه تجنبهم واعرض عنهم سائراً الى البوابة الشمالية للمدينة .

وهناك نظر الينا وقال : لم تأتِ ساعتي بعد ، ان هنالـك كثيراً سأقوله لـكم وكثيراً سأفعله بينكم قبل ان اسلم نفسي للعالم.

ثم قال وفي صوته رنـّة الفرح والضحك: هلم بنا الى الشمال لنلاقي الربيع . تعالوا معي الى التـلال ، لان الشتاء قـد ولـّى وثلوج لبنان تنحدر الى الأودية لتترنم مع الجداول .

قد قضت الحقول والكروم على النوم ، واستيقظت لتحيي الشمس بتينها الأخضر وعنبها الرقيق .

وكان يمشي امامنا ونحن نتبعه كل ذلك اليوم والذي تلاه .

وفي مساء اليوم الثالث وصلنا الى قنة جبل حرمون، وهنالك وقف ينظر الى مدن السهول .

فأشرق وجهه كأنه الذهب المحترق ، وبسط ذراعيه وقال لنا : انظروا الى الأرض في ثوبها السندسي وتأملوا كيف طرزت السواقي اهدابه بالفضة اللامعة .

حقاً ان الأرض جميلة ، وكل ما عليها جميل .

ولكن وراء كل ما تنظرون ملكوت سأحكمه وأسود فيه، فاذا شئتم ورغبتم من قلوبكم فانتم أيضاً ستذهبون اليه وتحكمون معي .

ان وجهي ووجوهكم لن تتقنّع فيه ، ولن تحمل يدنا سيفاً ولا صولجاناً ، وسيحبنا رعايانا وسيعيشون بسلام من غير ان يعرفوا خوفاً منا .

هكذا تكلم يسوع ، اما انا فانني كنت اعمى عن جميع ممالك الارض وكل المدن ذات الاسوار والقلاع ، ولم تكن في قلبي سوى رغبة واحدة : ان اتبع المعلم الى ملكوته .

وفي تلك اللحظة تقدم يهوذا الاسخريوطي ودنا من يسوع وقال له : تأمل ، ان ممالك العالم واسعة ، ومدن داود وسليمان ستغلب الرومانيين . فاذا شئت ان تكون ملك اليهود فاننا نقف سيوفنا ورماحنا لتأييدك وفوزك على الغرباء .

ولما سمع يسوع هذا التفت الى يهوذا وامائر الغضب تملأ محياه ، وخاطبه بصوت راعب كرعد السماء قائلًا له : تخلف عني يا شيطان ! اوهل يخطر لك انني جئت في مواكب السنين لاحكم ثلة من النمل يوماً واحداً ؟

ان عرشي يفوق بصيرتك . وهل يمكن ان الذي يحوط الأرض بجناحيه ينشد ملجأ في عش مهجور منسي ؟

ام هل يتشرف الحي ويرتفع بواسطة لابسي الاكفان ؟

ان مملكتي ليست من هذه الأرض ، ومجلسي لم يبنَ على جماجم اسلافكم .

فاذا كنتم تنشدون مملكة غير مملكة الروح فالاجدر بكم ان تتركوني هنا ، وتنحدروا الى مغاور امواتكم حيث يعقد ذوو الرؤوس المتوجة منذ القديم مجالسهم في قبورهم ليعطوا مجداً لعظام جدودكم وآبائكم .

كيف تجرؤ ان تجربني بتاج من نفاية المادة في حين ان جبهتي تنشد اما الثريا واما اشواككم ؟

الا انني لولا حلمٌ حلمه جنس منسي لما كنت آذن لشمسكم ان تشرق على صبري ولا لقمركم ان يبسط ظلي في طريقكم .

ولولا رغبة نقية اختلجت في قلب ام طاهرة لكنت جردت نفسي من اقمطتي وهربت راجعاً الى الفضاء .

ولولا الكآبة التي في اعماقكم جميعاً لما كنت اقمت هنا للبكاء والنواح .

فمن انت وما شأنك يا يهوذا الاسخريوطي ؟ ولماذا تجربني؟ هل وزنتني في الميزان فوجدتني جديراً بان اقود جيشاً من الاقزام ، وادير مراكب من لا شكل له ضد عدو لا يجتمع الا في بغضكم ولا يهجم الا في مخاوفكم واوهامكم ؟

كثير هو الدود المجتمع حول قدمي ، ولكنني لن اصليه ضرباً . قد مللت الهزل والمجون وسئمت نفسي الشفقة على الدبابات التي تحسبني جباناً لانني لا اتخطر بين اسوارها وقلاعها الحصينة .

ان من دواعي الشفقة ان اكون محتاجاً الى الرحمة حتى النهاية . وكم اودّ لو كنت قادراً ان ادير خطواتي الى عالم اكبر من هذا العالم حيث يعيش رجال اعظم من رجاله ، ولكن كيف افعل ذلك ؟

ان كاهنكم وامبراطوركم يريدان دمي ، وسينالان ضالتهما قبل سفري الى ذلك العالم . انني لن اغير سير الشريعة ولن اقيد الجهالة .

دع الجهل يستثمر ذاته حتى يمل ذريته .
دع العميان يقودون العميان الى الحفرة .

ودع الموتى يدفنون الموتى حتى تختنق الأرض باثمارها المريرة .

ان مملكتي ليست من هذه الأرض . مملكتي ستكون حيث اجتمع اثنان او ثلاثة منكم بمحبة، وباحترام لجمال الحياة، وبغبطة وبهجة لتذكاري .

ثم التفت الى يهوذا فجأة وقال : تخلف عني ايها الرجل. ان ممالككم لن تكون في مملكتي .

*

وكان الشفق ، فنظر الينا وقال : فلننزل من هنا ، لان الليل يدنو منا . فلنسر في النور ما دام لنا النور .

ثم انحدر من التلال ونحن نتبعه. وكان يهوذا يتبعنا من بعيد. وعندما وصلنا الى السهول خيم الظلام .

فقال له توما بن ثيوفانس : يا معلم قد دنا الظلام ونحن لا نرى الطريق ، فاذا شئت سر بنا الى انوار تلك القرية لعلنا نجد طعاماً ومأوى .

اما يسوع فاجاب توما قائلاً: قد قدتكم الى الأعالي عندما كنتم جياعاً، وها قد انزلتكم الى السهول وقد تضاعف جوعكم. ولكنني لا اقدر ان اقيم معكم في هذه الليلة ، لانني أودُّ ان اكون وحدي .

فتقدم سمعان بطرس وقال : يا معلم، لا تتركنا نمشي وحدنا في الظلام، بل ائذن لنا ان نقيم معك في هذه الطريق الضيقة ،

فالليل واشباحه لن تطيل اقامتها معنا، لان الصباح سيجدنا قريباً اذا كنت تتعطف وتظل معنا .

فاجاب يسوع وقال : في هذه الليلة ستكون للثعالب اوجارها ولطيور السماء اعشاشها ، ولكن ابن الانسان ليس له على الارض موضع يسند اليه رأسه. وانا بالحقيقة اريد الآن ان اكون وحدي ، فاذا تقتم الي فانكم ستجدونني ثانية على البحيرة حيث وجدتكم .

*

فانصرفنا عنه وقلوبنا تتمزق ألماً لاننا لم نشأ ان نفارقه بطوعنا. وكنا بين الهنيهة والأخرى نقف ونتلفت الى الوراء لنراه في عظمة وحدته سائراً نحو الغرب .

اما الرجل الوحيد فينا الذي لم يلتفت الى الوراء ليرى المعلم في كمال وحدته فهو يهوذا الاسخريوطي .

ومن تلك الساعة ساء خلق يهوذا وكثر اضطرابه واظلمت عيناه بسحب كثيفة من الغدر والشر .

حنة ام مريم

ميلاد يسوع

وُلد يسوع حفيدي هنا في الناصرة في شهر ينـاير (كانون الثاني). وفي الليلة التي ولد فيها يسوع زارنا رجال من المشرق. فقد كانوا اعجاماً جاؤوا الى اسدريلون مع قوافل الميديين في طريقهم الى مصر. واذ لم يجدوا مكاناً في الفندق طلبوا ملجأ في بيتنا.

وقد رحبت بهم وقلت لهم: ان ابنتي ولدت صبياً في هذه الليلة. وانتم ولا شـك تغضّون الطرفَ عن قصوري اذا لم اقم بواجب الضيافة كما يليق بكم.

فشكروني على قبولهم في منزلي. وبعد العشاء قالوا لي: نود ان نرى الطفل الجديد.

وكان ابن مريم جميل الصورة، وهي ايضاً كانت جميلة.

وعندما رأى الاعجام مريم وطفلها اخرجوا ذهباً وفضةً من أكياسهم، ومراً ولباناً، وطرحوها كلها عند قدمي الطفل.

ثم سجدوا وصلوا بلغة غريبة لم نفهمها.

وعندما ذهبت بهم الى غرفة النوم التي أعددتها لهم دخلوا بملء الاحترام مما رأوا وشاهدوا.

وعند الصباح تركونا وساروا في طريقهم الى مصر .

ولكن قبل انصرافهم قالوا لي : ان هذا الطفل وان كان ابن يوم واحد فاننا قد رأينا نور إلهنا في عينيه وابتسامة إلهنا على شفتيه .

فنرجو منكم أن تحرسوه بعنايتكم ليحرسكم بعنايته .

واذ قالوا هذا ركبوا جمالهم ولم نرهم بعد ذلك .

اما مريم فلم يكن فرحها ببكرها ليضاهي شدة دهشتها وذهولها أمامه .

فكانت تحدق اليه طويلاً ثم تدير وجهها الى النافذة وتتأمل السماء البعيدة منذهلة كأنها ترى رؤى سماوية .

وكان بين قلبها وقلبي أودية بعيدة العمق .

وكان الصبي ينمو بالجسد والروح ، وكان يختلف كل الاختلاف عن جميع اترابه ، فكان محباً للوحدة ، يصعب الحكم عليه ، ولم أقدر أن أضع يدي عليه قط .

بيد انه كان محبوباً من جميع أهل الناصرة ، وفي أعماق قلبي عرفت السبب في ذلك .

وكثيراً ما كان يأخذ طعامنا ويعطيه لعابري السبيل .

وكلما أعطيته شيئاً من الحلوى كان يعطيه للاولاد رفقائه قبل أن يذوقه بفمه .

وكان يتسلق اشجار البستان ويقطف اثمارها ليحملها الى غيره ممن لا اثمار في بساتينهم .

وكثيراً ما رأيته بعيني وهو يتسابق مع الاولاد ، إذ يرى انه اسرع خطى منهم ، يتباطأ في سيره حتى يسبقوه إلى المحجة قبل ان يصل هو اليها .

وكان في بعض الليالي عندما اقوده الى فراشه يقول لي : اخبري امي وغيرها ان جسدي فقط ينام، ولكن فكري سيظل رفيقاً لهم حتى يأتي فكرهم الى صباحي .

وغير هذا كثير من الآيات العجيبة التي كان يقولها لي في صبوته ،ولكن ضعف ذاكرتي في شيخوختي يحول دون تذكرها.

واليوم يقولون لي انني لن اراه فيما بعد . ولكن كيف استطيع ان اصدق ما يقولون ؟

انني ما زلت اسمع ضحكه ، وصوت وقع قدميه على ارض الدار لا يفارق اذني . وكلما قبلت وجنة ابنتي اشعر بعطر قبلاته يفوح في قلبي، واحسّ بجسده الجميل يتموج بين ذراعي.

ولكن ، أليس من الغرابة العجيبة ان ابنتي لا تتكلم عن ابنها البكر امامي ابداً ؟

وكثيراً ما يخطر لي ان شوقي اليه اعظم من شوقها ، لانها تقف شاخصة امام نور النهار كأنها تمثال من النحاس الصامت في حين ان قلبي يذوب في صدري ويجري منسكباً كالجداول. ومن يدري ، فلعلها تعلم ما لا اعلم . ويا ليتها تحدثني بما تعرف من الاسرار الغامضة عليّ .

عساف الملقب بخطيب صور

خطاب يسوع

ماذا اقول عن خطابه ؟ لا شك ان قوة خفية في شخصيته كانت تسلح كلماته بسحر عجيب فتأخذ بمجامع قلوب سامعيه ، لانه كان جميل الصورة بهيّ المحيا .

وكان الرجال والنساء يحدقون الى صورته الكاملة اكثر مما يصغون الى مباحثه . ولكنه كثيراً ما كان يتكلم بقوة روح عجيبة ، وتلك الروح كان لها السلطان الكامل على كل من سمعه .

قد سمعت في حداثتي خطباء روما واثينا والاسكندرية ، ولكن الناصري الذي كان يختلف كل الاختلاف عن جميعهم .

حصر اولئك همهم بترتيب الكلام بصورة تسحر الآذان ، ولكنك اذ تسمع الناصري تشعر بان قلبك يفارقك في الحال ويسير هائماً في اصقاع لم يزرها احد بعد .

فهو يقص عليك قصة او يخاطبك بمثل ، ولكن سورية لم تسمع بمثل قصصه وامثاله في كل تاريخها ، لانه كان يحوك امثاله وقصصه من خيوط الفصول كما يحوك الزمان نسيجه من خيوط السنين والاجيال .

واليك مثالاً من طريقته في بـدء قصصه : خرج الزارع ليزرع زرعه .

او كان لرجل غني كروم عديدة .

او راعٍ عدّ خرافه عند المساء فوجد خروفاً ناقصاً .

ومثل هذه الكلمات تحمل سامعيه الى ذواتهم الساذجة والى ايامهم القديمة الهادئة .

كلنا عند التحقيق زارع . وجميعنا نعشق الكرمة . وفي مراعي ذاكرتنا يوجد راع وقطيع وخروف ضالٍ .

وهنالك إيضاً محراث ومعصرة وبيدر .

اجل ، قد عرف الناصري ينبوع ذاتنا القديمة وخبر الخيوط التي حاك القدير نسيجنا منها .

ان خطباء اليونان والرومان خاطبوا الناس عن الحياة في نظر الفكر،ولكن الناصري تكلم عن حنين كائن في اعماق القلب.

اولئك رأوا الحياة بعيون قد تكون انقى قليلاً من عينيك وعينيّ ، اما هو فقد رأى الحياة بنور الله .

وكثيراً ما افكر في انه خاطب الجموع كما يخاطب الجبل السهل الوسيع. وكان في خطابه قوة لم تصل اليها افكار اثينا وروما.

مريم المجدلية

اجتماعها بيسوع للمرة الاولى

رأيته لاول مرة في شهر يونيو (حزيران) . كان يمشي بين الزروع عندما مررت مع جواريّ ، وكان وحيداً .

وكان انتظام وقع خطواته على الارض مختلفاً عن جميع الرجال ، وحركة جسمه لم ارَ مثلها قط في حياتي .

ان الرجال لا يمشون على الارض كما مشى هو . والى هذه الساعة لا ادري اذا كان يسير بسرعة او ببطء .

وكانت جواريّ يشرن اليه باصابعهن ويتهامسن فيما بينهن والحياء يخيم فوقهن. اما انا فوقفت لحظة ورفعت يدي لاحييه. ولكنه لم يلتفت ، ولم ينظر اليّ . فأبغضته جداً ، وشعرت بان الدم يجمد في عروقي من شدة الغيظ ، وفارقتني حرارة جسدي حتى صرت باردة كأنما انا في عاصفة من الثلج هوجاء ، وكنت ارتجف بكليتي .

وفي تلك الليلة رأيته في منامي ، وقد اخبروني فيما بعد انني كنت اصرخ صراخاً شديداً في نومي ، ولم اعرف طعم الراحة في فراشي في تلك الليلة .

ثم رأيته ثانية في شهر اغسطس (آب) ، وكان ذلك من خلال نافذتي . فكان جالساً في ظل سروة امام بستاني ، وكان هادئاً كأنه تمثال منحوت من الحجارة ، كالانصاب التي رأيتها قبلاً في انطاكية وغيرها من مدن الشمال .

في تلك الدقيقة جاءت خادمتي المصرية وقالت لي : ان ذلك الرجل هو هنا ثانية ، وهو جالس هنالك امام بستانك .

فحدقت اليه طويلاً ، فارتعشت نفسي في اعماقي لانه كان جميلاً .

كان جسمه فريداً ، وقد تناسبت اعضاؤه ، حتى خيل اليَّ ان كلاً منها مسحور بحب رفيقه .

وفي الحال لبست افخر اثوابي الدمشقية ، وتركت بيتي وسرت اليه .

هل دفعتني وحدتي ام طيب شذاه حملني اليه ؟ وهل مجاعة عيني الراغبة في الجمال ، ام جماله الذي كان يفتش عن النور في عيني؟

انني حتى الساعة لا اعلم .

مشيت اليه باثوابي المعطرة وحذائي الذهبي ، الذي اعطانيه القائد الروماني ، نعم ذلك الحذاء بعينه ! وعندما وصلت اليه قلت له : انعم صباحاً .

فقال : نعمت صباحاً يا ميريام .

ثم نظر اليّ ، فرأت فيّ عيناه السوداوان ما لم يره رجل قبله ، فشعرت فجأة كأنني عارية وخجلت في ذاتي .

بيد انه لم يقل سوى : نعمت-صباحاً .

حينئذ قلت له : افلا تريد ان تدخل الى بيتي ؟

فقال : اما انا الآن في بيتك ؟

انني لم اعلم ما عناه آنئذ ، ولكنني اعلم الآن .

فقلت له : افلا تريد ان تشرب الخمر وتكسر الخبز معي؟

فاجاب : نعم يا ميريام ، ولكن ليس الآن .

ليس الآن ، ليس الآن ، هكذا قال لي ، وكان صوت البحر في هاتين الكلمتين ، وصوت الريح والاشجار . وعندما قالهما لي تكلمت الحياة مع الموت .

فاذكر يا صاح ولا تنس انني كنت ميتة . فقد كنت امرأة طلقت نفسها . وكنت اعيش بعيدة عن هذه الذات التي تراها الآن . فقد اختصصت بجميع الرجال ، ولم اختص باحد ، فكانوا يدعونني عاهرة ، وامرأة فيها سبعة شياطين . كنت ملعونةً من الجميع ومحسودةً من الجميع .

ولكن عندما نظر فجر عينيه الى عينيّ غابت جميع كواكب ليلي وصرتُ ميريام ، ميريام فقط ، امرأة ضاعت عن الأرض التي عرفتها ووجدت نفسها في اماكن جديدة .

ثم قلت له ثانية : هلمّ الى بيتي وشاركني بخمرتي وخبزي .

فقال : لماذا تلحين على ان اكون ضيفك ؟

فقلت : اتوسل اليك ان تدخل الى بيتي . وكان كل ما بي من الارض وكل ما بي من السماء يناجيه ويدعوه ويطلبه .

حينئذ نظر اليّ ، فاشرقت ظهيرة عينيه على روحي ، وقال : ان لك كثيرين من المحبين ، بيد انني انا وحديَ احبك ، فان بقية الرجال يحبون انفسهم في قربك ، اما انا فاحبك في نفسك . ان بقية الرجال ينظرون فيك الى جمال يذوي قبل انتهاء سنيهم ، اما الجمال الذي اراه انا فيك فانه لن يزول ، وفي خريف ايامك لن يخاف ذلك الجمال ان ينظر الى ذاته في مرآة ، ولن يقدر احد ان يعيبه .

انا وحدي احب ما لا يُرى فيك .

ثم قال بصوت واطىء : امضي في طريقك الآن . واذا كانت هذه السروة لك ولا تريدين ان اجلس في ظلها ، فانا ايضاً اسير في طريقي .

فتوسلت اليه بدموع قائلة : يا معلم ، ادخل الى بيتي . ان لديّ بخوراً احرقه امامك ، وطستاً من الفضة لغسل قدميك . انت غريب ولكنك لست بالغريب ، لذلك اتضرع اليك ان تدخل الى بيتي .

في تلك اللحظة وقف ونظر اليّ كما تنظر الفصول الى الحقل وتبسم وقال ثانية : ان جميع الرجال يحبونك لاجل ذواتهم اما انا فاحبك لأجل ذاتك .

قال هذا وسار في طريقه .

*

ولكن ما من رجل مشى مشيته قط . هل ولدت في بستاني نسمة علوية ثم سارت الى الشرق ؟ ام هي عاصفة جاءت تزعزع كل شيء لتردّه الى اسسه الاصلية ؟

انني لم اعلم . ولكن في ذلك اليوم ذبح غروب عينيه الوحش الذي كان فيّ، فصرت امرأةً ، صرتُ مير يام ، مريم المجدلية .

فيليمون الصيدلي اليوناني

يسوع امير الاطباء

كان الناصري سيد الاطباء في شعبه . وما من رجل غـيره عرف ما عرفه هو عن اجسادنا وعناصرها ومحتوياتها .

فقد أبرأ الناس من امراض غريبة لم يعرفها اليونانيون ولا المصريون .

يقولون انه اقام الاموات من القبور. واذا كان هذا حقيقياً ام لا فانه يظهر قوته ، لان اعاظم الأمور لا يمكن ان تنسب الا لمن يستطيع ان يقوم بالامور العظيمة .

ويقولون أيضاً ان يسوع زار الهند وبلاد ما بين النهرين، وان الكهنة الذين كانوا في تلك البلاد اعلنوا له المعرفة المخفية في اعماقنا .

ولكن من يدري ، فقد تكون الآلهة منحته تلك المعرفـة مباشرة وليس بواسطة الكهنة، لان الذي تخفيه الآلهة عن جميع الناس جيلاً كاملاً كثيراً ما تعلنه لرجل واحد في لحظة واحدة ، وابولو اذا وضع يده على قلب المجهول الوضيع جعله حكيماً رفيعاً .

ان ابواباً كثيرة قد فتحت لابناء صور وتيبت ، وهنالـك

كثير من الأبواب التي كانت موصدة ومختومة فانفتحت امام هذا الرجل . فقد دخل الى هيكل النفس ، الذي هو الجسد ، ورأى الأرواح الشريرة التي تتآمر على قوتنا وبأسنا ، كما رأى الارواح الصالحة التي تغزل خيوطها .

وفي عقيدتي انه كان يشفي المرضى على سبيل المقاومة والمعارضة، ولكن الطريقة التي اتخذها لنفسه لم تكن معلومة لدى فلاسفتنا، فكان يدهش الحمى بملامسته الجليدية فترتد هاربة ، ويذهل الاعضاء اليابسة بقوة هدوئه العجيب فتطيعه وتعود الى سلامتها.

اجل ، قد عرف الناصري العصارة الزائلة في قشرة شجرتنا المتشققة — ولكن كيف اتصل بتلك العصارة باصابعه ؟ ذلك ما لا اعرفه ! وعرف الفولاذ الصحيح تحت الصدإ — ولكن ما من رجل يقدر ان يحدثنا كيف حرّر السيف من صدإه واعاد اليه بريقه .

كثيراً ما يخطر لي انه كان يصغي الى اعمق الآلام التي في جميع الكائنات الحية امام الشمس ، فيعمد في الحال الى رفعها ومساعدتها ، ليس بمعرفته فقط بل باظهار طريق قوتها لتنهض من آلامها صحيحة سالمة .

بيد انه لم يعبأ قط بقدرته كطبيب، بل كان جل همه معالجة المواضيع الدينية والسياسية في هذه البلاد. وانا متألم لأجل هذا، لاننا قبل جميع الأشياء يجب ان نكون اصحاء الاجساد .

ولكن هؤلاء السوريين اذا اصابهم مرض لا يفتشون عن الدواء بل ينشدون المباحثة والمجادلة . ومصيبتهم الكبرى ان اعظم اطبائهم اعرض عن فنه المفيد واختار ان يكون خطيباً في ساحة المدينة .

سمعان بطرس

دعوته مع اخيه

كنت على شاطىء البحيرة عندما رأيت يسوع ، ربي ومعلمي ، لأول مرة .

كان اخي اندراوس معي ، وكنا نلقي شبكتنا في المياه .

وكانت الأمواج طاغية هائجة ولذلك لم نمسك الا قليلًا من السمك . وكان الحزن يملأ قلبينا .

فوقف يسوع بقربنا فجأة كأنه تكون في تلك اللحظة لاننا لم نرَه يدنو منا .

ثم دعانا كلًا باسمه وقال: اذا تبعتماني فاني اقودكما الى مدخل في الشاطىء حافل بالأسماك .

واذ نظرت الى وجهه سقطت الشبكة من يديّ ، لان نوراً اشرق في اعماقي فعرفته .

فتكلم اخي اندراوس وقال له : نحن نعرف جميع مداخل هذه الشواطىء ونعرف ايضاً ان الاسماك في مثل هذا اليوم الكثير الرياح تنشد اعماقاً لا تصل اليها شباكنا .

فأجاب يسوع وقال : اتبعـــاني اذن الى شواطىء البحر الاعظم فاجعلكما صيادي الناس . ولن تكون شباككما فارغة .

فتركنا سفينتنا وشباكنا وتبعناه .

اما انا فقد تبعته مسوقاً بقوة غير منظورة كانت تسير معه جنباً الى جنب .

كنت امشي الى جانبه منقطع النفس والعجب آخذ مني كل مأخذ ، وكان اخي اندراوس وراءنا متحيراً منذهلاً .

وفيما نحن نمشي على الرمل تشجعت وقلت له : يا سيد ، انا واخي سنتبعك ، وحيث سرت فنحن نسير معك ؛ ولكن اذا حسن لديك ان تذهب معنا الى منزلنا في هذه الليلة فاننا نتبارك بزيارتك . ان بيتنا ليس كبيراً وسقفنا ليس عـالياً ، وستأكل طعاماً حقيراً فيه . بيد انك اذا دخلت الى كوخنا فانه يصير قصراً في عقيدتنا . واذا كسرت الخبز معنا فان امراء الارض يحسدوننا على جلوسنا في حضرتك .

فقال لي : نعم سأكون ضيفكم في هذه الليلة .

فطار قلبي فرحاً من جوابه . وهكذا سرنا وراءه صامتين حتى وصلنا الى البيت .

وعندما وقفنا على عتبة الباب قال يسوع : سلام لهذا البيت والساكنين فيه .

ثم دخل ونحن نتبعه .

وهنالك رحّبت به زوجتي وحماتي وابنتي وخررن ساجدات امامه ، وقبلن اطراف اكمامه .

كنّ متحيرات كيف انه وهو المختار الحبيب يأتي ليكون ضيفنا ، لأنهنّ كنّ رأينه قبلاً في نهر الأردن عندما اعلنه يوحنا للشعب .

وفي الحال شرعت زوجتي وحماتي في تهيئة العشاء .

اما اخي انـدراوس فكان حيياً بطبيعته ، ولكن ايمانـه بيسوع كان اعمق من ايماني .

واما ابنتي التي كانت آنئذ في الثانية عشرة من العمر فانهـا وقفت الى جانبه وامسكت طرف ثوبه خوفاً منها ان يتركنا ويسير في الليل ثانية ، فكانت متعلقة به كأنها خروف ضال وجد راعيه .

وعندما اعد العشاء جلسنا الى المائدة فكسر الخبز وسكب الخمر ، والتفت الينا وقال: ايها الاصدقاء باركوني الآن وشاركوني في هذا الطعام كما ان الاب قد باركنا باعطائه لنا .

قال هذه الكلمات قبل ان يتناول كسرة واحدة ، لأنـه اراد ان يحافظ على العادة القديمة: ان الضيف المحترم يصير رب المنزل .

واذ جلسنا معه حول المائدة شعرنا في اعماقنا باننا جالسون الى وليمة الملك العظيم .

وكانت ابنتي بترونيلة ، الصغيرة الساذجة ، تتأمل وجهه وتتبع بنظراتها حركات يديه، وكانت سحابة من الدموع تغشي عينيها.

وعندما ترك المائدة تبعناه وجلسنا حواليه تحت مظلة الدوالي. كان يخاطبنا ونحن نصغي اليه وقلوبنـــا تخفق في اعماقنا كالعصافير .

فقد تكلم عن المجيء الثاني للانسان، وعن فتح ابواب السماء، وعن الملائكة النازلين لحمل السلام والمسرة لجميع الناس، وعن الملائكة الصاعدين لحمل تشوقات الناس للرب الاله .

في تلك الدقيقة نظر الى عينيّ وحدّق الى اعماق قلبي وقال: قد اخترتك انت وأخاك ، فيجب ان تذهبا معي . قد اشتغلتما وتعبتما وها انا اريحكما . احملا نيري وتعلمـا مني ، لأن قلبي يمتلىء بالسلام ، وستجد فيه نفسكما موطنها وكمال حاجاتها .

وعندما قال هذا وقفت انا واخي امامه وقلتُ له : يا معلم سنتبعك الى اقاصي الأرض . ولو كان حملنا ثقيلاً كالجبال فاننا سنحمله في طريقنا الى السماء ، ونقبل كل هذا برضى وقناعة .

ثم قال له اخي اندراوس : يا معلم نود ان نكون خيوطاً بين يديك ونولك ، فلك اذا شئت ان تحوك منا قماشاً ، لاننا نعلم اننا نكون في ثوب الكلي الرفعة .

فرفعت زوجتي رأسها وقالت والدموع تملأ وجنتيها مـن

شدة الفرح : مبـارك انت الآتي باسم الرب! طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعك !

كانت ابنتي جالسة عند قدميه تضمهما الى صدرها .

. اما حماتي التي كانت جالسة الى عتبة الباب فانها لم تقل كلمة قط، ولكنها كانت تبكي بهدوء حتى امتلأ وشاحها من الدموع.

فمشى يسوع اليها ورفع رأسها وحدق الى عينيها وقال لها : انت ام جميع هؤلاء الاصحاب ، انك تبكين الآن من الفرح، ولذلك سأحفظ دموعك في ذاكرتي .

حينئذ طلع البدر الجميل علينا فنظر اليه يسوع هنيهة وقال لنا : قد تأخرنا في سمرنا ، فاذهبوا الى فراشكم وليرافق الرب راحتكم ، اما انا فأظل في هذه المظلة حتى الفجر . قـــد القيت شبكتي في هذا اليوم فاصطدت رجلين ، وانا راضٍ عن صيدي. فاستودعكم الآن وأرجو لكم ليلة سعيدة .

فقالت له حماتي : قد اعددنا لك فراشاً في المنزل فـأتوسل اليك ان تدخل وتستريح .

فاجابها قائلًا : انني حقاً أريد الراحـة ، ولكن ليس تحت السقوف، فاسمحوا لي أن أنام الليلة تحت مظلة الدوالي والنجوم.

فأسرعت وأخرجت الفراش والوسادة واللحاف ، فنظر اليها مبتسماً وقال : ها أنا أتكىء على فراش قد أُعِدَّ مرتين !

حينئذ تركناه ودخلنا الى البيت ، وكانت ابنتي آخر من تركه ودخل . وكانت عيناها تنظران اليه حتى اغلقت الباب .

هكذا عرفت ربي ومعلمي لأول مرة .

ومع انه مرّ على هذا اعوام عديدة فانني اذكره كأنما حدث لي في هذا اليوم .

قيافا رئيس الكهنة

قد قتلناه بضمير نقي

يجدر بنا اذ نتكلم عن ذلك الرجل يسوع وعن موته ان نذكر حقيقتين بارزتين : سلامة التوراة في ايدينا ، وسلامة المملكة في ايدي الرومانيين .

ولكن ذلك الرجل كان خطراً علينا وعلى رومة ، فقد سمم افكار الشعب البسيط وقاده بسحر عجيب الى الثورة علينا وعلى القيصر .

ان عبيدي أنفسهم، الرجال منهم والنساء ، بعد ان سمعوه يخطب في ساحة المدينة ، امتلأوا بروح التمرد والعصيان . وكثيرون منهم تركوا منزلي ورجعوا الى الصحراء التي قدموا منها.

ولا تنس ايها القارىء ان التوراة هي اساس قوتنا وقبة نصرنا . وما من رجل يقدر ان يهلكنا طالما ان هذه القوة بأيدينا لنغلّ يده . وما من رجل يستطيع ان يخرب اورشليم وجدرانها قائمة على الحجر القديم الذي وضعه داود بيده .

فاذا كان لزرع ابراهيم ان يعيش وينمو فان هذه الارض يجب ان تظل نقية .

وذلك الرجل يسوع كان يريد ان ينجسها بالمعصية ، لذلك قتلناه بضمير نقي بصير بالعواقب ، وسنقتل كل من يجرؤ ان ينجس شريعة موسى أو يضلل ميراثنا المقدس .

نحن وبيلاطس البنطي عرفنا الخطر الذي كان في ذلك الرجل ، ولذلك رأينا من الحكمة ان نضع حداً لحياته .

وأنا باذل قصاراي لأنزل باتباعه وبتعاليمه نفس ما انزلته به .

اذا كانت اليهودية تود ان تعيش ، فان كل من يقاومها يجب ان يصير الى التراب . وقبل ان تموت اليهودية سأغطي رأسي الابيض بالرماد كما فعل صموئيل النبي ، وسأمزق هذه الحلة المقدسة التي كانت لهرون ، والبس المسوح حتى اسير من هنا الى الأبد .

يونا امرأة حافظ هيرودس

في الاولاد

لم يتزوج يسوع قط ولكنه كان صديقاً للنساء ، فقد عرفهن كما يجب ان يعرفهن الجميع ، في الصداقة النقية .

وكان يحب الاولاد كما يجب ان يحبهم الناس بالايمان والفهم.

وكان في نور عينيه حنان الاب ومحبة الشقيق ولهفة الابن .

فهو يحمل صبياً صغيراً ويضعه على ركبتيه ويقول : بمثل هذا قوتكم وحريتكم ، وبمثل هذا يتكوّن ملكوت الروح .

يقولون ان يسوع لم يعبأ بشريعة موسى ، وانه كان كثير الصفح عن الزواني في اورشليم والبلاد المحيطة بها .

وانا نفسي كنت في ذلك الوقت زانية في نظر الناس ، لانني احببت رجلاً لم يكن زوجاً لي ، وكان صدوقياً .

وفي احد الايام جاء الصدوقيون الى بيتي وكان عشيقي معي، فقبضوا عليّ وحبسوني ، اما عشيقي فهرب وتركني .

ثم قادوني الى ساحة المدينة حيث كان يسوع يعلم الجموع.

وكانوا يرغبون في تقديمي اليه ليجربوه ويصطادوه بفخاخهم.

ولكن يسوع لم يحكم عليّ . فقد ألبس العار لمن جاؤوا بي اليه ليلبسوني ثوب العار ، وأوسعهم لوماً وتوبيخاً .

أما أنا فانه أطلقني بسلام .

وبعد ذلك صارت جميع اثمار الحياة التي لا طعم لها لذيذة في فمي ، والورود التي لا عطر لها صارت منبعاً للعطر الجميل في منخري . فصرت امرأة لا تعرف الذكرى الفاسدة ، اجل ، صرت حرة ، مرتفعة الرأس ، كسائر بني البشر .

رفقـــة

عروس قانا

حدث هذا قبل ان عرفه الشعب .

كنت في بستان امي اتعهد الورود عنـدما وقف يسوع امام بوابتنا .

فقال : انا عطشان . اتتفضلين عليّ بقليل من ماء بئركم ؟

فركضت واحضرت الكأس الفضية وملأتها ماء وسكبت فيها بضع نقط من قارورة الياسمين .

فشرب وارتوى وكان مسروراً .

ثم نظر في عينيّ وقال لي : فلتحلّ عليك بركتي .

وعندما قال هذا شعرت بان ريحاً علوية تسير في جسدي ، ففارقني ما تولاني من الحياء عند رؤيته فقلت : يا سيدي ، انني مخطوبة لرجل من قانا الجليل ، وسأزف اليه في اليوم الرابع من الاسبوع المقبل . افلا تريد ان تحضر الى عرسي فتبـارك زواجي بحضورك ؟

فأجاب وقال : سأحضر يا ابنتي .

وما انسى قوله لي : يا ابنتي ، في حين انه كان شاباً بعد ، وانا كنت في نحو العشرين من العمر .

ثم سار في طريقه . أما أنا فبقيت واقفة امام بوابة البستان حتى دعتني أمي الى البيت .

وفي اليوم الرابع من الاسبوع التالي اخذني اهلي الى بيت عريسي وزفوني اليه ..

وجاء يسوع تصحبه امه واخوه يعقوب .

وكانوا جالسين حول مائدة العرس مع ضيوفنا ؛ ورفيقات صباي ينشدن لي اغاني الاعراس التي نظمها سليمان الملك . وكان يسوع يأكل من طعامنا ويشرب من خمرتنا ويتبسم لجميع الحاضرين . وكان يصغي الى جميع اناشيد المحب الذي يحضر محبوبته الى خيمته ، واغاني الكرّام الشاب الذي احب ابنة ربّ الكرم وقادها الى بيت امه ، والامير الذي رأى الفتاة الفقيرة فحملها الى مملكته وتوجها بتاج آبائه .

ويلوح لي انه كان يصغي الى اناشيد اخرى غير هذه لم اقدر انا ان اسمعها .

وعند غروب الشمس جاء والد العريس الى ام يسوع واسرّ اليها قائلًا : لم يبق عندنا خمر لضيوفنا ، ويوم العرس لم ينته بعد . فسمع يسوع ما اسر به الرجل الى امه وقال : ان ساقي الخمرة يعرف انه لا يزال عندكم خمر كثير .

وهكذا كان بالحقيقة ، فان الخمر وجدت بكثرة طيلة اقامة الضيوف في منزلنا .

حينئذٍ شرع يسوع يخاطبنا ، فكان يحدثنا بعجائب الارض والسماء ، ويشرح لنا عن ورود السماء التي تزهر عندما يمدّ الليل بساطه على الأرض ، وعن ورود الأرض التي تزهر عندما تختفي الكواكب في نور النهار .

وكان يقص علينا قصصاً وامثالاً ، فيأخذ سحر صوته بمجامع قلوبنا ، فنحدق بعينيه كأننا نرى رؤى سماوية متناسين الكأس والصحفة امامنا .

وكنت اشعر وانا اصغي اليه انني في ارض قصية مجهولة .

وبعد هنيهة قال احد الضيوف لوالد عريسي : قد ابقيت الخمر الجيدة الى آخر الوليمة ، وغيرك من المضيفين لا يفعلون هذا .

وجميع الذين كانوا في البيت آمنوا ان يسوع اجترح اعجوبة وانه يجب ان تكون لهم خمرة في آخر وليمة العرس اطيب من الخمرة التي تقدم في بداءته .

وانا ايضاً ظننت ان يسوع سكب الخمرة الجيدة ، ولكنني لم اتعجب ، لانني كنت قد اصغيت الى كثير من العجائب في صوته .

وقد ظل صوته بعد ذلك قريباً من قلبي حتى ولدت ابني البكر .

وحتى اليوم يتحدث الناس في قريتنا وفي القرى المجاورة بكلام ضيفنا العزيز . وهم يقولون ابداً : ان روح يسوع الناصري هي افضل خمرة واعتقها .

فيلسوف فارسي في دمشق

الآلهة قديماً وحديثاً

اني لا أقدر ان انبىء بمصير هذا الرجل ، ولا أستطيع ان اتنبأ بما سيحدث لتلاميذه .

فان البذرة المختفية في قلب التفاحة هي شجرة غير منظورة، ولكن اذا سقطت تلك البذرة على صخرة فانها ولا شك صائرة الى لا شيء .

ولكنني اقول هذا : ان إله اسرائيل العتيق الايام قاسٍ لا يعرف الرحمة، ولذلك يجب ان يكون لاسرائيل إله جديد : إله لطيف رحوم ينظر اليهم باللين والشفقة ، إله ينحدر مع اشعة الشمس وينسير على طريق حدودهم الضيقة ، عوضاً عن إلههم القديم الجالس ابداً في كرسي القضاء يزن اغلاطهم ويقيس هفواتهم .

يجب ان يكون لاسرائيل إله لا يعرف الحسد سبيلاً الى قلبه ، ولا يحتفظ في ذاكرته بالكثير من سيئاتهم ، إله لا ينتقم منهم بافتقاد ذنوب الآباء في الابناء الى الجيل الثالث والرابع .

فالانسان في سورية كأخيه الانسان في كل مـكان ، فهو ينظر الى مرآة فهمه وهنالك يجد إلهـه . وهو يصنع الآلهة على صورته ومثاله ، ويعبد كل ما تنعكس فيه صورته .

الا ان الانسان بالحقيقـة يصلي الى حنينـه العميق لينهض ويكمل بمجموع رغباته .

ليس في الوجود شيء اعمق من نفس الانسان ، والنفس هي العمق الذي ينشد ذاته ، لانه ليس ثمـة صوت آخر ليتكلم ولا آذان اخرى لتسمع .

ونحن انفسنا في بلاد فارس ننظر الى وجوهنـا في قرص الشمس وترى اجسادنا راقصة في النار التي نشعلها على مذابحنا .

وفي عقيدتي ان إله يسوع ، الذي دعاه ابـاً ، لن يكون غريباً بين شعب هذا المعلم ، ولذلك سيحقق رغباتهم .

ان آلهة مصر قد القوا عنهم احمال الحجـارة وهربوا الى برية نوبيه ليكونوا احراراً بين الذين ما برحوا احراراً من المعرفة .

وآلهة اليونان ورومة تسير شمسهم الى الغروب . فقد كانوا كثيري الشبه بالناس ولذلك لم يقدروا ان يعيشوا في تأملات الناس . والغابات التي نشأ فيها سحرهم قطعتها فؤوس الاثينائيين والاسكندريين .

وفي هذه الأرض نرى الأماكن الرفيعة تتحول رفعتها الى ضعة متشرعي بيروت ونسّاك انطاكية .

فلا ترى غير الشيوخ والمتعبين من النساء والرجال يسيرون الى هياكل آبائهم وأجدادهم ، ولا ينشد بداءة الطريق الا الذين ضلوا في آخرها .

ولكن هذا الرجل يسوع ، هذا الناصري العجيب ، قد تكلم عن إله يسع في ملئه جميع النفوس ، وقد تعاظمت معرفته حتى سمت عن العقوبة ، وتسامت محبته حتى ترفعت عن ذكر خطايا خلائقه . وإله الناصري هذا سيجوز بعتبة جميع ابناء الارض ، وسيجلس الى مواقدهم ، وسيكون لهم بركة داخل جدرانهم ونوراً في طريقهم .

بيد ان لي إلهاً هو إله زوروستر ، الاله الذي هو شمس في السماء ، ونارٌ على الأرض ، ونورٌ في حضن الانسان . وانا راضٍ به ، ولا حاجة بي الى إله سواه .

داود احد اتباعه

يسوع العملي

انني لم اعرف معنى خطبه وامثاله حتى فارقنا. نعم أنا لم افهم شيئاً من أقواله حتى اتخذت كلماته اشكالاً حية امام عيني وكونت ذواتها بأجساد تمشي في مواكب ايامي .

واليكم ما حدث لي : كنت في احدى الليالي جالساً في بيتي اتأمل وأتذكر كلماته واعماله لأدونها في كتاب ، فدخل ثلاثة لصوص الى بيتي ، ومع انني عرفت انهم جاؤوا ليسرقوا ما عندي فانني كنت مأخوذاً بالايمان بما كنت افكر فيه الى هذه الدرجة حتى انني لم اقاومهم بالسيف ولا سألتهم ماذا تفعلون هنا !

ولكني واظبت على كتابة مذكراتي عن المعلم .

وعندما انصرف اللصوص ذكرت قوله : من طلب رداءك فاعطه الثوب ايضاً ، وفهمت معناه

وعندما جلست ادون اقواله لم يكن في الارض رجل يستطيع ان يحولني عن عملي ولو سرق كل مقتنياتي .

لانني مع شدة حرصي على مقتنياتي ، واهتمامي بحماية ذاتي ، فاني أعرف اين اجد هذا الكنز الاعظم .

لوقا

في المرائين

قد احتقر يسوع المرائين ، وبالغ في تعنيفهم ، وكان غضبه ينقض عليهم انقضاض الصاعقة . وكان صوته رعداً في آذانهم ترتعش لهوله قلوبهم .

وقد طلبوا موته لشدة خوفهم منـــه ، وكانوا كالمناجذ في ظلمة الأرض يعملون على هلاك خطواته ، ولكنه لم يسقط في فخاخهم .

فكان يضحك منهم ، لأنه عرف جيداً ان الروح يجب الا يهزأ بها ، والا يُسار بها الى الحفرة .

وكان يمسك مرآة بيده وهنالك يرى الكسالى والعرج والعابرين والساقطين في جوانب الطريق وهم يسيرون الى القنة .

فأشفق على الجميع ، ورغب في ان يرفعهم الى ملء قامته ويحمل أثقالهم . اجل ، فقد تمنى كثيراً لو يتكىء ضعفاؤهم على ذراع قوّته .

لم يكن شديد الوطأة في حكمه على الكذاب او اللص او

القاتل ، ولكنه قضى قضاءً مبرماً على المرائين الذين يبرقعون وجوههم ويغطون ايديهم .

كثيراً ما وقفت مفكراً في ذلك القلب الذي كان يقتبل جميع القادمين من صحراء الحياة الى مقدسه العظيم فيهبهم راحة وملجأ ، ولم يغلق بابه الا في وجوه المرائين فقط .

حدث مرة فيما نحن جالسون معه في بستان الرمان انني قلت له : يا معلم ، أنت تصفح عن الخطاة ، وتعزي جميع الضعفاء والسقماء ولا ترفض الا المرائين .

فقال لي : قد وضعت كلماتك في مواضعها عندما دعوت الخطاة ضعفاء وسقماء . نعم أنا اصفح عن ضعف أجسادهم وسقم أرواحهم ، لأن قصورهم عن القيام بواجبهم قد وضع حملاً على اكتافهم اما من آبائهم او من جيرانهم .

غير انني لا احتمل المرائين ، لانهم يضعون النير الثقيل على رقاب المخلصين والطائعين .

اما الضعفاء الذين تسميهم خطاة ، فهم كالفراخ التي لا ريش لها الساقطة من العش . ولكن المرائي نسرٌ جالس على صخرة يتوقع فريسة بريئة لينقض عليها .

الضعفاء هم رجال ونساء ضائعون في صحراء . ولكن المرائي غير ضائع . فهو يعرف الطريق ولكنه يضحك بين الرمال والرياح .

لاجل هذا لا اقبل المرائين في شركتي .

هكذا تكلم معلمنا ، فلم افهم معنى كلامه في ذلك الوقت ولكنني افهم اليوم .

لذلك اجتمع المراؤون في البلاد ، والقوا القبض عليه ، وحكموا بقتله ، ظانين انهم مبرّرون بعدائه لهم . وكانوا يقرّبون شريعة موسى في مجمع اليهود شهادةً وبيّنة ضده .

ان الذين يكسرون الشريعة عند بزوغ كل فجر ، ثم يكسرونها ثانية عند غروب كل شمس ، هم الذين عملوا على موته .

متى

العظة على الجبل

في احد ايام الحصاد دعانا يسوع وفريقاً من اصدقائه الآخرين الى التلال . وكانت الأرض تفوح بعطرها وقد تزينت بأبهى حلاها كأنها ابنة ملك عظيم في يوم زفافها . وكانت السماء عروساً لها .

وعندما وصل الى الأعالي وقف في غابة الغار والهدوء يجلل طلعته البهية وقال : استريحوا هنا وافتحوا نوافذ افكاركم ودوزنوا اوتار قلوبكم لأن لديّ كثيراً أقوله لكم .

فاتكأنا على بساط العشب تحيط بنا ورود الصيف ، وجلس يسوع في وسطنا .

فقال يسوع :

طوبى للرصينين بالروح .

طوبى لمن لا تقيدهم مقتنياتهم ، لأنهم سيكونون احراراً .

طوبى لمن يتذكرون آلامهم ، وفي آلامهم يرقبون أفراحهم.

طوبى للجياع للحق والجمال ، لأن مجاعتهم ستحمل لهم خبزاً ، وعطشهم ماءً عذباً .

طوبى للرؤوفين ، لأنهم سيتعزون بلطفهم ورأفتهم .

طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم سيكونون واحداً مع الله .

طوبى للرحماء ، لأن الرحمة ستكون في نصيبهم .

طوبى لصانعي السلام ، لأن أرواحهم ستقطن فوق المعركة وسيحوّلون حقل الخزّاف الى جنة غناء .

طوبى للمطاردين ، لأن أقدامهم ستكون سريعة وسيكونون مجنّحين .

افرحوا وابتهجوا ، لأنكم قد وجدتم ملكوت السماوات في أعماقكم . ان مرنمي القدماء قد اضطهدوا عندما تغنّوا بذلك الملكوت . وأنتم أيضاً ستضطهدون ، وفي هذا شرفكم وفيه اجركم .

أنتم ملح الأرض ، فاذا فسد الملح فبماذا يصلح الطعام لقلب الانسان ؟

انتم نور العالم ، فلا تضعوا هذا النور تحت المكيال ، بل فليشرق نوركم من الأعالي لجميع الذين ينشدون مدينة الله .

لا تظنوا اني جئت لابطل شرائع الكتبة والفريسيين ، لأن ايامي بينكم معدودة وكلماتي محدودة ، وليس لديّ سوى بضع ساعات سأكمل فيها شريعة ثانية واوضح عهداً جديداً .

قد قيل لكم الا تقتلوا ، أما أنا فأقول لكم لا تغضبوا لغير سبب .

قد قضى عليكم القدماء ان تحملوا عجولكم وحملانكم وحمامكم الى الهيكل وان تذبحوها على المذبح ، لتتغذى مشامُّ الرب برائحة دهنها ، وتُغفر بذلك زلاتكم .

أما أنا فأقول لكم : هل تقدرون ان تعطوا الرب ما كان له منذ البدء ؛ أم هل تسكّنون غضبه ، وعرشه يسمو على الأعماق الصامتة ، وهو يحوّط الفضاء بذراعيه ؟

فتشوا بالأحرى عن أخيكم وتصالحوا معه قبل ان تجيئوا الى الهيكل ، واعطوا جاركم بمحبة مما عندكم . لأنه في نفس هؤلاء قد بنى الله هيكلاً لن يخرب ، وفي قلبهم قد أقام مذبحاً لن ينقض .

قيل لكم : عين بعين وسنّ بسن . أما انا فأقول لكم : لا تقاوموا الشرّ ، لأن المقاومة تغذي الشر وتزيده قوة . ولا ينتقم لنفسه غير الضعيف . أما الأقوياء بالروح فانهم يسامحون ولمن تقع عليه الأذية شرف سامٍ بصفحه وسماحه .

الشجرة المثمرة وحدها يهزها الناس ويضربونها بالحجارة .

لا تهتموا بالغد بل تأملوا باليوم لأنه يكفي اليوم اعجوبته .

لا تبالغوا في الاعتداد بأنفسكم عندما تعطون مما هو لكم وانظروا بالاولى الى حاجة من تعطون، لأن كل من يعطي غيره من المحتاجين يعطيه الآب نفسه بأوفر غزارة .

اعطوا كل محتاج حسب حاجته ، لأن الاب لا يعطي ملحاً للعطشان ، ولا حجراً للجائع ، ولا حليباً للمفطوم .

ولا تعطوا القدسات للكلاب ، ولا تطرحوا درركم للخنازير ، لأنكم بهذه العطايا تهزأون بها ، وهي أيضاً ستهزأ بعطاياكم ، وقد يحملها بغضها الى اهلاككم .

لا تكنزوا لكم كنوزاً تفسد أو يسرقها اللصوص ، بل اكنزوا لكم كنوزاً لا تفسد ولا تسرق ، ولكنها تزداد جمالاً كلما ازدادت العيون الناظرة اليها . لأنه حيث يكون كنزك فهنالك قلبك أيضاً .

قد قيل لكم : ان القاتل يجب ان يسلم للسيف ، وان اللص يجب ان يصلب ، والزانية يجب ان ترجم . أما أنا فأقول لكم انكم لستم أبرياء من جريمة القاتل واللص والزانية ؛ واذا حل العقاب بأجسادهم فان ارواحكم تظلم في اعماقكم .

بالحقيقة انه ما من جريمة يرتكبها رجل فرد او امرأة وحدها . ان جميع الجرائم يشترك الجميع في ارتكابها ، أما الذي يدفع الجزاء فانه يقطع حلقة من السلسلة المعلقة حول كعابكم . وقد يكون يدفع بكآبته ثمن افراحكم الزائلة .

هكذا تكلم يسوع ؛ وقد رغبت في السجود أمامه احتراماً واجلالاً ، ولكن خجلي من ذاتي الحقيرة كان يمسك بي فلم أقدر ان اتحرك من مكاني ولا ان اتلفظ بكلمة واحدة .

بيد انني تشجعت أخيراً وقلت له : انني اود ان اصلي في هذه الدقيقة ، ولكن لساني ثقيل . فعلمني كيف اصلي .

فقال يسوع : اذا صليتم فلينطق حنينكم بكلمات الصلاة، وفي اعماقي الآن حنين يود ان يصلي هكذا :

ابانا الذي في الأرض والسماوات ، ليتقدس اسمك .
لتكن مشيئتك معنا كما هي في الفضاء .
اعطنا من خبزك كفاية ليومنا .
برأفتك اصفح عنا ، ووسع مداركنا لنصفح بعضنا عن بعض .
سر بنا اليك ، ومدّ يدك الينا في الظلمة .
لأن لك الملك ، وبك قوّتنا وكمالنا .

*

وكان المساء ، فنزل يسوع من التلال ونحن نتبعه جميعاً . اما انا فكنت أتبعه وأنا اردّد صلاتـه ، متذكراً جميع اقواله ، لانني عرفت ان الكلمـات التي تساقطت في ذلك اليوم كقطع الثلج يجب ان تستقر وتتحجر كالبلور ، وان الاجنحة التي كانت تخفق فوق رؤوسنا يجب ان تضرب الارض كالحوافر الحديدية .

يوحنا بن زبدي

في اسماء يسوع المختلفة

قد اشرتم الى ان فريقاً منا يدعون يسوع «بالمسيح» وغيرهم «الكلمة» وآخرون يسمونه «الناصري» وغيرهم «ابن الانسان».

وها انا آت لأوضح لكم معاني هذه الاسماء كما اعطي لي ان افهمها .

فالمسيح ، الذي كان في قديم الزمان ، هو شعلة الالوهية التي تقيم في روح الانسان ، هو نسمة الحياة التي تزورنا ، وتتخذ جسداً كأجسادنا .

هو مشيئة الله .

هو الكلمة الاولى التي تتكلم باصواتنا وتقطن في آذاننا لنفهم ونعلم . وكلمة الرب إلهنا قد بنت بيتاً من اللحم والعظم وصارت انساناً مثلك ومثلي .

لاننا لم نقدر ان نسمع انشودة الريح التي لا جسد لها ، ولم نرَ ذاتنا العظمى سائرة في الضباب

مراراً كثيرة جاء المسيح الى العالم وقد مشى في بلاد كثيرة بيد انه حُسب غريباً بين الناس ومجنوناً ابداً .

ولكن صدى صوته لم يذهب عبثاً ، لان ذاكرة الانسان كثيراً ما تحتفظ بما لا يعبأ له فكره ليحتفظ به .

هذا هو المسيح ، ابعد اعماقنا وارفع أعالينا ، الذي يرافق الانسان الى الابدية .

ألم تسمعوا به على مفارق الطرق في الهند ، وفي ارض المجوس ، وعلى رمال مصر ؟

وهنا في بلادكم الشمالية قد تغنى شعراؤكم القدماء ببروميثيوس حامل النار ، الذي تحققت فيه رغبات الانسان ، وتحطمت به قضبان القفص الذي قيد رجاء الناس فاطلق وصار حراً ؛ وباووفيوس الذي تجسد مع الصوت والقيثارة لينعش الروح في الحيوان والانسان .

أولا تعرفون شيئاً عن سيصر الملك ، وزوروستر النبي الفارسي ، اللذين استيقظا من نوم الانسان القديم ووقفا على فراش احلامنا ؟

الا اننا نحن انفسنا نصير مسحاء عندما نجتمع في الهيكل غير المنظور ، في الف سنة ، حينئذ يخرج أحدنا متجسداً .

بيد ان آذاننا لا تتحول دائماً للسماع ، ولا عيوننا للنظر .

قد وُلد يسوع الناصري ونشأ مثلنا ، وكان أبوه وامه كوالدينا وكان هو انساناً مثلنا .

ولكن المسيح ، الكلمة ، الذي كان في البدء ، الروح التي ترجو لنا ان نحيا حياة كاملة ، كل هذا قد جاء الى يسوع واتحد معه .

فالروح كانت يد الرب الشعرية ، ويسوع كان قيثارة لها . الروح كانت مزموراً ، ويسوع كان لحناً له .

ويسوع ، رجل الناصرة ، كان المضيف والممثل للمسيح ، الذي مشى معنا في الشمس ودعانا اصدقاءه .

ان تلال الجليل واوديته لم تسمع في تلك الايام سوى صوته . وعلى رغم حداثتي في ذلك العهد كنت اسير في طريقه واقتفي خطواته .

اجل ، قد اقتفيت خطواته وسرت في طريقه لاسمع كلمات المسيح من شفتي يسوع الجليلي .

*

انكم تودون بلا شك ان تعلموا لماذا يدعوه فريق منا ابن الانسان .

فهو نفسه قد رغب في ان نسميه بهذا الاسم ، لانه عرف مجاعة الانسان وعطشه ، ورأى الانسان يفتش عن ذاته العظمى .

ان ابن الانسان هو المسيح الرؤوف الذي يريد ان يكون مع الجميع .

هو يسوع النذير الذي يرغب في قيادة جميع اخوته الى

المختار الحبيب الذي مسحه الله بزيت قدسه ، هو الكلمة الذي كان في البدء مع الله .

ان يسوع الجليلي مقيم في قلبي ، وهو الانسان المتسامي على الناس ، والشاعر الذي يصنع الشعراء من جميعنا ، بل هو الروح التي تقرع على ابواب ارواحنا لنستيقظ وننهض ونخرج لملاقاة الحقيقة العازية الواثقة بنفسها .

كاهن شاب في كفر ناحوم

يسوع الساحر

كان ساحراً متلوياً معوجاً ، وعرافاً يضلل البسطاء بسحره وتعزيمه . وكان يشعوذ بكلمات أنبيائنا ومقادس اجدادنا .

وكان يطلب شهوده حتى من الأموات ، ويتخذ سلطانه واعوانه من القبور الصامتة .

وكان يفتش عن نساء اورشليم وبنات المزارع بدهاء العناكب التي تفتش عن الذباب ، وكان يصطادهن بفخاخه .

لان النساء ضعيفات فارغات الرؤوس ، وهن يتبعن الرجل الذي تطمئن الى كلماته العذبة اهواؤهن الباقية . ولولا هؤلاء النساء ، السقيمات العقول ، والمأخوذات بروحه الشرير ، لكان اسمه قد انمحى من ذاكرة الانسان .

ومن هم الرجال الذين تبعوه ؟

كانوا من الطبقة المكدونة والمدوسة بالاقدام . ولم يكن يخطر لهم قط ان يثوروا على اسيادهم وهم على ما كانوا عليه من الجهل والخوف. ولكنه عندما وعدهم بالمراكز العالية في ملكوت سرابه استسلموا لاوهامه كما يستسلم الطين للخزّاف .

أولا تعلمون ان العبد لا يرى غير السيادة في احلامه ؛ والضعيف الخامل لا يرى نفسه إلا أسداً ؟

فالجليلي كان مشعوذاً خداعاً ، وقد صفح عن خطايا جميع الخطاة ليسمع التهليل والهتاف « باوصنا » من افواههم القذرة ، وقد أطعم قلوب اليائسين والبؤساء ليكون له آذان كافية لسماع صوته وجيش يأتمر بأوامره .

وقد كسر السبت مع الذين يكسرونه ليكسب معاضدة الخارجين على الشريعة ، وتكلم بالسوء على رؤساء كهنتنا ليلفت انظار المجلس الاعلى اليه ، ويزيد في شهرته عن طريق المعارضة ،

طالما صرحت بانني ابغض ذلك الرجل . نعم أبغضه اكثر من بغضي للرومانيين الذين يحكمون بلادنا : حتى ان مجيئه كان من الناصرة ، وهي القرية التي لعنها انبياؤنا ، فصارت مزبلة للامم ، ولا يمكن ان يخرج منها شيء صالح .

لاوي غني بجوار الناصرة

يسوع النجار الماهر

كان نجاراً ماهراً . فالابواب التي صنعها لم يستطع لص ان يخلعها ، والنوافذ التي عملها كانت حاضرة ابداً لتنفتح للريح الشرقية والغربية .

كان يصنع الصناديق من خشب الأرز فتأتي صقيلة متينة ، والمحاريث والسفافيد من السنديان فتجيء قوية سهلة الانقياد في يد الفلاح .

كان يحفر المقارىء (جمع مِقْرأ) لمجامعنا من خشب التوت الذهبي ، وعلى جانبي الخشبتين اللتين يوضع عليهما الكتاب المقدس كان يضع جناحين منبسطين ، وتحتهما رؤوس ثيران وحمام وغزلان ذات عيون كبيرة .

كل هذا كان يتحدى في صنعه طريقة الكلدانيين واليونان . ولكن كان في فنه شيء لم يكن لا كلدانياً ولا يونانياً .

قد اشتغلت في بناء بيتي هذا ايدٍ كثيرة منذ ثلاثين سنة ، لاني فتشت عن البنائين والنجارين في جميع قرى الجليل ، وكانت

لكل منهم مهارة البنّاء وفنه ، وكنت راضياً قانعاً بكل ما صنعوه لي .

ولكن ، هلم وانظر هذين البابين وتلك النافذة التي صنعها يسوع الناصري ، فهي بدقة صنعها وثباتها تهزأ بكل ما في بيتي.

افلا ترى ان هذين البابين يختلفان عن جميع الأبواب التي في البيت ؟ وهذه النافذة المفتوحة للشرق ، الا تختلف عن بقية النوافذ ؟

ان جميع ابوابي ونوافذي تستسلم لشريعة السنين ، ما خلا هذه التي عملها هو ، فهي وحدها ثابتة امام عناصر الطبيعة .

تأمل هذه العوارض المتقاطعة ، كيف وضع احداها فوق الأخرى ، وهذه المسامير كيف انزلت من الوجه الواحد في العارضة فخرجت من الوجه الثاني وهنالك لويت بدقة حتى لا تتزحزح من موضعها .

والعجيب الغريب في هذه القضية ان ذلك العامل الذي كان يستحق اجرة رجلين لم يقبض الا اجرة رجل واحد فقط ، وذلك العامل نفسه هو في عقيدة البعض نبي في بني اسرائيل .

فلو عرفت في ذلك الحين ان هذا الشاب الحامل المنشار والفارة هو نبي لكنت طلبت اليه ان يتكلم عوضاً عن ان يشتغل ، ولكنت دفعت له الاجرة مضاعفة على كلماته .

وحتى الساعة لا يزال عمال كثيرون يشتغلون في بيتي وحقولي،
ولكن كيف اقدر ان أميز بين الرجل الذي يده على محراثه
والرجل الذي يد الله على يده ؟

نعم ، كيف استطيع ان اعرف يد الله ؟

راع في جنوب لبنان

مثل

رأيته لأول مرة في آخر الصيف يمشي على تلك الطريق مع ثلاثة رجال من رفاقه . وكان الوقت عند المساء، فوقف هنالك يتأمل الطريق في آخر المرج .

اما انا فكنت انفخ في مزماري ، وقطيعي يرعى حوالي . وعندما وقف نهضت وسرت اليه ووقفت امامه .

فسألني قائلاً : أين قبر اليشع ؟ اليس قريباً من هذا المكان؟

فأجبته : هو هناك يا سيدي ، تحت تلك الرجمة . وما برح عابرو الطريق حتى اليوم يحمل كل منهم حجراً ويضعه في هذه التلة .

فشكرني وسار في طريقه ورفقاؤه يسيرون وراءه .

وبعد ثلاثة ايام قال لي غملائيل الذي كان راعياً مثلي : ان الرجل الذي مرّ بك هو نبي في اليهودية . ولكنني لم اصدقه ، بيد ان ذكرى ذلك الرجل لم تفارق ذاكرتي . وعندما جاء الربيع مرّ يسوع بهذا المرج ثانية ، وكان في هذه المرة وحده .

اما انا فلم اكن انفخ في مزماري في ذلك اليوم ، لانني كنت قد اضعت خروفاً وكنت حزيناً تملأ غيوم الكآبة سماء قلبي.

وعندما رأيته مشيت ووقفت امامه صامتاً ، لاني اردت ان اتعزى .

فنظر اليّ وقال : انت لا تنفخ في مزمارك اليوم ، فمن أين جاءت الكآبة في عينيك ؟

فأجبته : قد ضاع خروف من خرافي ، وقد فتشت عنه في كل مكان فلم أجده ولا اعلم ماذا اعمل .

فسكت هنيهة ثم نظر اليّ مبتسماً وقال : انتظرني هنا ريثما اجد لك خروفك . وسار في طريقه حتى اختفى بين التلال .

وبعد ساعة من الزمان رجع ، وكان خروفي يمشي الى جانبه ، وفيما هو واقف امامي كان الخروف ينظر الى وجهه كما نظرت انا.

فأقبلت على الخروف اضمه الى صدري بفرح عظيم .

فوضع يده على كتفي وقال : انك منذ اليوم ستحب هذا الخروف اكثر من جميع الخراف في قطيعك ، لانه كان ضالاً فوُجد .

ثم ضممت خروفي ثانية الى صدري بفرح عظيم ، وكان الخروف يدنو مني وانا صامت لا انبس ببنت شفة .

وعندما رفعت رأسي لأشكر يسوع رأيته يسير بعيداً عني فلم اجسر على ان اتبعه .

يوحنا المعمدان

لواحد من تلاميذه

اني لستُ صامتاً في هذا السجن المظلم في حين ان صوت يسوع يتعالى في ساحة الحرب . ولا يقدر أحد ان يلقي عليّ يداً او يقيّد حريتي طالما انه هو حر .

يقولون لي ان الافاعي تنساب حول حقويه، ولكنني اجيب ان الافاعي ستوقظ قوته ليسحقها بقدميه .

انني لست سوى رعد في برقه . ومع انني تكلمت أولاً فان الكلمة التي نطقتُ بها هي كلمته ، والغاية التي سعيت اليها هي غايته .

قد قبضوا عليّ بدون إنذار . ولعلهم يلقون ايديهم عليه أيضاً ، ولكنهم لن يفعلوا ذلك قبل ان يتلفظ بكل اقواله . وسيغلبهم .

ستمرّ عربته فوقهم ، وستدوسهم حوافر خيوله، وسيكون منتصراً .

سيخرجون اليه بسيوف وحراب ، ولكنه سيجابهم بقوة الروح .

سيجري دمه على الأرض ، ولكن قاتليه انفسهم سيعرفون جراحه وآلامها، وسيتعمدون بدموعهم حتى يتطهروا من خطاياهم.

ان جيوشهم ستهجم على مدنه بالمجانق الحديدية ، ولكنهم سيغرقون في طريقهم في نهر الأردن .

اما اسواره وابراجه فستزداد ارتفاعاً ، ودروع محاربيه سيتضاعف بريقها في اشعة الشمس .

يقولون انني متواطىء معه لنحض الشعب على النهوض للثورة ضد مملكة اليهودية .

وها انا اجيب ، ويا ليت لي نيراناً اصوغ منها كلماتي : اذا كانوا يحسبون بؤرة الاثم هذه مملكة ، اذاً فلتخرب ولتصر الى لا شيء ، وليحل بها ما حل بصادوم وعمورة، ولينسَ الرب هذا الجنس ، ولتتحول هذه الأرض الى رماد .

نعم انا حليف يسوع الناصري وراء هذه الجدران الغليظة في سجني ، وهو سيقود جيوشي بما فيها من الفرسان والمشاة . وانا نفسي ، وان كنت قائداً في معسكر الرب ، فانني لست اهلاً لأن احلّ سيور حذائه .

اذهبوا اليه ، وأعيدوا كلماتي على مسمعيه ، واطلبوا اليه باسمي ان يعزّيكم ويباركم .

انني لن اقيم طويلاً في هذا المكان ، لانني في كل ليلة بين

اليقظة واليقظة أشعر بأقدام بطيئة تدوس على هذا الجسد بخطوات متناسقة ، وعندما اصغي جيداً اسمع قطرات المطر تتساقط على جسدي .

اذهبوا الى يسوع وقولوا له : ان يوحنا الكدروني الذي تمتلىء نفسه من الاشباح ثم يفرغها ثانية ، يصلي من أجلك ، في حين ان حفار القبور يقف قريباً منه ، والسيّاف يمد يده لقبض اجرته .

يوسف الذي من الرامة

المطالب الاولية ليسوع

تودون ان تعرفوا المطلب الاول ليسوع وها انا بفرح اخبركم ، ولكن ما من رجل يستطيع ان يلامس باصابعه حياة الكرمة المباركة ، او ينظر بعينيه العصارة المقدسة التي تغذي اغصانها .

ومع انني تذوقت عنب هذه الكرمة ، وشربت الخمرة الجديدة من المعصرة ، فانا عاجز عن ان اخبركم بكل شيء .

ولكنني اقدر ان احدثكم بما اعرفه عنه :

ان معلمنا وحبيبنا لم يعش سوى ثلاثة فصول من فصول الانبياء ، وأنا أعني ربيع إنشاده ، وصيف وجده ، وخريف آلامه . وكل فصل من هذه الفصول كان عبارة عن الف سنة .

فربيع إنشاده قضاه مترنماً في الجليل . فهنالك كان يجمع محبيه حواليه ، وعلى شواطىء البحيرة الخضراء تكلم أولاً عن الاب ، وعن العتق والحرية .

على بحيرة الجليل خسرنا أنفسنا لنجد طريقنا الى الاب . أواه ، ما أتفه ما خسرنا بالنسبة الى ما ربحنا !

هنالك ترنم الملائكة في آذاننا وامرونا ان نهجر الارض المجدبة لنحظى بفردوس رغبات القلب .

هنالك كان يتكلم عن الحقول والمراعي الخضراء وعن منحدرات لبنان حيث تختبىء الزنابق الخضراء لكي لا تفطن لها القوافل المارّة في غبار الوادي .

وهنالك كان يخاطبنا عن العوسج البريّ الذي يبتسم في الشمس ويقرب بخوره للريح المجتازة به .

وكان يقول : ان الزنابق والعوسج تعيش يوماً واحداً ، ولكن ذلك اليوم هو الابدية التي تُقضى بالحرية .

وفي أحد الأمساء ، وقد جلسنا الى حافة جدول صغير ، قال لنا : انظروا الى الجدول واصغوا الى موسيقاه . فهو ينشد البحر ابداً ، ومع انه ينشد البحر أبداً فهو يترنم باسراره من الظهيرة الى الظهيرة .

أود لو أنكم تنشدون الاب كما ينشد هذا الجدول بحره .

ثم جاء صيف وَجدهِ ، وبلغت الينا حرارة محبته ، فحصر كل كلامه بالآخرين — بالجار ، وعابر السبيل ، والغريب ، ورفقاء الصبوة .

فخاطبنا عن السائح المسافر من الشرق الى مصر ، والفلاح الراجع بثيرانه الى بيته عند المساء ، وضيف الساعة الذي يقوده مَلِسُ الظلام الى بابنا .

وكان يقول : ان جاركم هو ذاتكم غير المعروفة ، تتجسد امامكم لتصير منظورة . فمياهكم الهادئة ستعكس لكم وجهه ، واذا تأملتم بها جيداً فأنتم ولا شك ستنظرون وجوهكم .

واذا اصغيتم في سكينة الليل فانكم ستسمعونه متكلماً وسيكون خفقان قلوبكم في كلماته .

فاعملوا به نفس ما تودون ان يعمله هو بكم .

هذه هي شريعتي ، وأنا أقولها لكم ولاولادكم ، وهم يقولونها لأولادهم حتى تنفق كنوز الزمان وتضمحل خزائن الأجيال .

وفي يوم ثانٍ قال لنا : لا تكن وحدك في حياتك لانك تعيش في أعمال الآخرين ؛ وهم وإن جهلوا يعيشون معك سحابة ايامك .

انهم لا يقترفون جريمة من غير ان تكون يدك مع ايديهم.

وهم لا يسقطون من غير ان تسقط معهم ، ولا ينهضون إلا وأنت تنهض معهم .

ان طريقهم الى المقدس هي طريقك ، واذا نشزوا الى قفر السقوط فأنت ايضاً ناشز معهم .

انت وقريبك بزرتان مزروعتان في حقل واحد . وانتما تنموان معاً وتتموجان معاً امام الريح . ولكن لا يستطيع احدكما ان يدعي ملكية الحقل ، لان البزرة السائرة الى النماء لا تقدر ان تدعي حتى ولا ملكية وجدها وافتتانها .

اليوم انا معكم ، ولكنني غداً امضي الى الغرب ، غير انني قبل ان أمضي اقول لكم : ان جاركم هو ذاتكم غير المعروفة ، تتجسد أمامكم لتصير منظورة . فانشدوه بمحبة لتعرفوا انفسكم؛ لانكم بهذه المعرفة فقط تستطيعون ان تكونوا اخوة لي .

ثم جاء خريف آلامه .

فخاطبنا عن الحرية ، كما كان يخاطبنا في الجليل في ربيع إنشاده ، ولكن كلماته في هذه المرة كانت تنشد أعمق اعماق فهمنا.

فكان يتكلم عن الأوراق التي لا تنشد اناشيدها الا اذا حركتها الرياح ، وعن الانسان مشبهاً اياه بكأسٍ يملأها ملاك الخدمة اليوم لتبرد عطش ملاك آخر . ومع ذلك فسواء كانت هذه الكأس ممتلئة او فارغة فانها تظل لامعة ببلورها على مائدة العليّ القدير .

ومن أقواله : انتم الكأس وأنتم الخمرة . فاشربوا من خمرة انفسكم حتى الثمالة ، او تذكروني فترووى غلة عطشكم .

وفي طريقنا الى الجنوب قال لنا : ان اورشليم ، الجالسة بكبرياء على قنة مجدها ، ستنحدر الى اعماق جهنم الوادي المظلم وفي وسط خرابها سأقف وحيداً .

وسيتحول الهيكل الى غبار ورماد ، وحول اروقته ستسمعون صراخ الارامل والايتام ، والناس في عجلتهم للهرب سيتعامون عن رؤية وجوه اخوتهم ، لان الخوف سيشملهم جميعاً .

ولكن حتى في ذلك الوقت ،اذا اجتمع اثنان منكم وتلفظا باسمي ونظرا الى الغرب ، فانكم تبصرونني فتتراجع اصداء كلماتي هذه الى آذانكم .

وعندما وصلنا الى تلة بيت عينا قال : لنمضِ الى اورشليم، فان المدينة تنتظرنا . سأدخل البوابة راكباً على جحش ، وسأخاطب الجموع .

ان الراغبين في تقييدي كثيرون ، واكثر منهم النافخون في النار ليحرقوني،ولكنكم بموتي ستجدون حياة وستكونون احراراً .

انهم يطلبون نسمة الحياة الحائمة بين القلب والفكر كما يحوم الخطاف بين الحقل وعشه . ولكن نسمة حياتي قد هربت منهم ولذلك لن يغلبوني .

ان الاسوار التي بناها الاب حولي لن تسقط ، والارض التي قدسها في كياني لن تتنجس .

فاذا جاء الفجر فان الشمس ستتوج رأسي فاجتمع بكم لمجابهة النهار .وذلك النهار سيكون طويلا ولن يرى العالم مساءه .

يقول الكتبة والفريسيون ان الارض متعطشة لدمي . ويسرني ان ابرد عطش الارض بدمي . ولكن نقط هذا الدم ستنهض باغصان السنديان والقيقب ، وستحمل الريح الشرقية بلوطها الى جميع البلدان .

ثم قال ايضاً: ان اليهودية تريد ملكاً لتهجم على جيوش رومة.
اني لا اريد ان اكون ملكاً لها، لان تيجان صهيون قد صنعت للجباه الصغيرة؛ وخاتم سليمان صغير على هذه الاصبع. تأملوا يدي؛ الا ترون انها اقوى من ان تحمل صولجاناً، واقدر من ان تمتشق حساماً؟

ألا انني لا اريد ان اثير السوري ضد الروماني. ولكن انتم بكلماتي ستوقظون المدينة الغافلة، فتخاطبها روحي في فجرها الثاني.

ان كلماتي ستؤلف جيشاً لا تراه العيون، حافلًا بالخيول والعربات؛ وبغير فأس ولا حربة سأغلب كهنة اورشليم، وانتصر على القياصرة.

انني لا أجلس على عرش قد جلس عليه العبيد ليحكموا غيرهم من العبيد. كلا؛ ولا اريد ان اثور على ابناء ايطاليا.
ولكنني سأكون عاصفة في سمائهم، وانشودة في نفسهم.
وسيذكرني الجميع. سيدعوني الجميع يسوع الممسوح.
جميع هذه الاقوال قالها يسوع خارج اسوار اورشليم قبل ان دخل المدينة.

وقد انطبعت كلماته على صفحات القلوب كأنما حفرت بالازاميل.

تنائيل

لم يكن يسوع وديعاً

يقولون ان يسوع الناصري كان وضيعاً وديعاً .

ويقولون انه كان رجلًا باراً عادلاً، ولكنه كان ضعيفاً،وانه كثيراً ما كان يتحيَّر وينذهل امام الأقوياء والأشداء ، وانـه عندما كان يقف امام ذوي السلطان لم يكن سوى حمل امـام سباع .

اما انا فاقول : ان يسوع كان له سلطان فوق جميع الناس، وانه عرف قوته واعلنها بين تلال الجليل ، وفي مـدن اليهودية وفينيقية .

فأيّ رجل ضعيف مستسلم يقول : انا الحياة ، وانا طريق الحق ؟ وأيّ رجل وديع وحقـير يجرؤ ان يقول : انا في الله ابينا والهنا الاب فيّ ؟

وأيّ رجل لا يعرف قوته يقول : ان من لا يؤمـن بي لا يؤمن بهذه الحياة ولا بالحياة الأبدية ؟

وأيّ رجل لا يثق بالغد ويقدر ان يصرح بمثل هذا الاعلان:

ان عالمكم سيزول ويتحول الى رماد تذريه الريح قبل ان تزول كلمة من كلماتي ؟

ام هل شكّ في قوته عندما قال للذين حملوا الزانيـة اليه ليجربوه : من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر ؟

وهل خاف ذوي السلطان عندما طرد الصيارفة من ساحة الهيكل مع انهم كانوا مفوّضين من الكهنة ؟

وهل كان مقصوص الجناحين عندما صرخ قائلًا : ان مملكتي فوق ممالككم الأرضية ؟

ام هل كان يختبىء بالالفاظ عندما قال المرة بعد المرة : انقضوا هذا الهيكل وانا اعيد بناءه بثلاثة ايام ؟

وهل يستطيع الجبان ان يهز يمينه في وجه ذوي السلطـان فيدعوهم : كذبة ادنياء وقذرين منجسين ؟

ان رجلًا كانت له الجرأة على قول مثل هذا لاسياد اليهودية لا يمكن ان يكون وضيعاً وديعـاً . الا ان النسر لا يبني عشه في الصفصاف الباكي ، والسبع لا يفتش عن عرينه بين الادغال.

قـد سئمتُ والتهبت احشائي من قول ضعفـاء القلوب ان يسوع كان وضيعاً وديعاً ليبرروا ضعتهم وصغـارة قلوبهـم ، وخصوصاً عندما اسمع المدوسين بالاقدام ينشدون تعزيتهم بوضع المعلم في صفوفهم .

نعم ، قد ضجر قلبي من امثال هؤلاء. فأنا ابشر بصياد قدير وروح جبلية لا تعرف الغلبة .

سابا الانطاكي

يصف شاوول الطرسوسي

سمعت في هـذا اليوم شـاوول الطرسوسي يبشر بالمسيح لليهود في هذه المدينة .

فهو يسمي نفسه بولس الان ، رسول الأمم .

قد عرفت هـذا الرجل في حداثتي ، وكان في تلـك الأيام يضطهد اصدقاء الناصري . وانا ما زلت اذكر جيداً مسرتـه ورضاه اذ كان يتأمل اصحـابه وهم يرجمون الشاب النوراني استفانوس .

ان بولس هذا رجل عجيب غريب . ان نفسه ليست بنفس الرجل الحر .

فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة ، طارده الصيادون وجرحوه فجاء ينشد كهفاً يخفي ألمه عن العالم .

وهو لا يتكلم عن يسوع ولا يعيد اقواله ، بـل يعظ عـن ماسيّا الذي انبأت عنه الانبياء .

ومع انه من علماء اليهود فهو يخاطب اصحابه اليهود باليونانية ويونانيته عرجاء ، وهو لا يحسن اختيار الفاظه لمواضعها .

بيد انه رجل ذو قوة خفية . والناس يؤيدونه باقبالهم على سماعه . وكثيراً ما يؤكد لهم اموراً هو نفسه لا يثق بها .

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمعنا خطبه نقول انه علم الانسان كيف يحطم قيود عبوديته ليتحرر من سجون امسه .

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد . فهو يضرب بمطرقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يعرفه .

فالناصري يرغب الينا ان نعيش الساعة بوجد وشوق .

اما رجل طرسوس هذا فانه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة .

قد منح يسوع من نسمة روحه للميت الفاقد النسمة . وفي وحدة لياليّ اؤمن وافهم .

وعندما كان يجلس الى المائدة كان يقص على الجالسين معه قصصاً تزيد في بهجتهم وسعادتهم ولذة طعامهم وشرابهم .

ولكن بولس يحدّد لنا رغيفنا وكأسنا .

فاسمحوا لي الآن ان ادير عينيّ الى الطريق الاخرى .

سالومه الى صديقة لها

رغبة لم تتحقق

كان كالحور اللامع في الشمس ، وكالبحيرة بين التلال الوحيدة مشرقاً في الشمس ، وكان كالثلج على رؤوس الجبال ابيض أبيضَ في الشمس .

نعم ، كان مثل هذه جميعها وقد احببته . بيد انني كنت اخاف ان اجلس في حضرته .

وكنت اود ان اقول له : قد قتلت صديقك في ساعة هوًى في نفسي ، فهل تغفر لي خطيئتي وانت الرحوم الصفوح ؟ أفلا تحلُّ قيود شبابي من عماوة عملي لأمشي حرة طليقة في نورك العظيم ؟

انني واثقة بأنه كان يصفح عن رقصتي للحصول على رأس صديقه البار . انني واثقة بأنه كان قد رأى فيَّ موضوعاً من مواضيع تعاليمه ، لانه لم يكن في العالم من وادي مجاعة لم يعبره ، ولا صحراء عطش لم يقطعها .

بلى ، قد كان كالحور الجميل ، وكالبحيرات بين التلال ، وكالثلج على الجبال . وكنت اتوق لتبريد عطش شفتيَّ في ثنايا ثوبه .

بيد انه كان بعيداً عني ، وانا كنت خجولة . وكانت امي تمنعني عن الذهاب اليه كلما دعاني حنيني الى السير وراءه .

وكلما مرّ بنا كان قلبي يذوب من جماله ، ولكن امي كانت تقطّب حاجبيها احتقاراً وتأمرني بالتحول عن النافذة الى غرفتي ، وكانت تصرخ باعلى صوتها قائلة : ومن يكون هذا سوى اكول جراد آخر من الصحراء !

إن هو الا مستهزىء خائن ، ومشاغب يتعيش باثارة نيران العصيان ، لسلب صولجاننا وتاجنا ؛ وحمل الثعالب وبنات آوى من بلاده اللعينة لتعوي في قصورنا وتجلس على عرشنا . اذهبي واحجبي وجهك من هذا النهار ، وانتظري يوم يسقط رأسه ولكن ليس على طبقك .

كل هذا قالته والدتي ولكن قلبي لم يحفظ كلامها ، فقد احببته سراً وكان حبه يمنطق نومي باللهيب .

قد مضى اليوم. وقد ذهب بذهابه شيء عظيم كان فيّ ، ومن يدري ، فقد يكون شبابي قد ذهب مني لانه لم يطق ان يقيم هنا بعد ان رأى إله الشباب قتيلاً .

راحيل احدى التلميذات

هل كان يسوع رجلاً ام فكراً ؟

كثيراً ما افكر منذهلةً فيما اذا كان يسوع رجلاً ذا لحم ودمٍ نظيرنا ، او فكراً بغير جسد ، في العقل ، او فكرةً تزور خيال الانسان .

وكثيراً ما يخطر لي انه لم يكن سوى حلم حلمه رجال ونساء لا عديد لهم ؛ وقد رآه جميعهم في نوم اعمق من النوم، وفجرٍ أهدأ من كل فجر .

ويظهر اننا اذ كنا نقص هذا الحلم بعضنا لبعض شرعنا نتخيله حقيقة وقعت بالفعل ، واذ منحناه جسداً من خيالنا وصوتاً من حنيننا جعلناه اخيراً جوهراً حقيقياً لمادة وجودنا .

ولكن بالحقيقة انه لم يكن حلماً . فقد عرفناه ثلاث سنين ورأيناه رأي العين في نور الظهيرة اللامع .

قد لمسنا يديه وتبعناه من مكان الى مكان . قد سمعنا خطبه ورأينا أعماله . وهل يخطر لكم اننا كنا فكراً ينشد غيره من الافكار او حلماً هائماً في منطقة الاحلام ؟

ان الحوادث العظيمة تظهر دائماً غريبة عن حياتنا اليومية وان كانت طبيعتها مغروسة في طبيعتنا ، وهي وان اقامت فجأة في مجيئها وفجأة في مرورها بنا فان جوهرها الحقيقي يوافق السنين والاجيال .

ويسوع الناصري هو نفسه الحادثة العظمى . فان ذلك الرجل الذي نعرف اباه وامه واخوته كان نفسه اعجوبة حدثت في اليهودية . بلى ، وكل عجائبه اذا وضعت عند قدميه لا تعلو الى مساواة عقبيه .

وجميع الانهار في جميع السنين لا تقدر ان تذهب بذكراه من قلوبنا .

فقد كان جبلاً محترقاً في الليل ومع ذلك كان حرارة لطيفة وراء التلال ، وكان عاصفة في الجو ، ومع ذلك كان يتحرك بلطف في ضباب الفجر .

كان يسوع سيلاً جارفاً منحدراً من الاعالي الى السهول ليهدم كل شيء في طريقه . وكان في الوقت نفسه لطيفاً كابتسامة الاطفال .

في كل سنة أنتظر زيارة الربيع لهذا الوادي ، وفي كل سنة أنتظر الزنابق وبخور مريم، ولكن نفسي تكتئب في اعماقي كل سنة ، لانني طالما تقت لأفرح مع الربيع فلم اقدر .

ولكن عندما جاء يسوع الى فصولي كان بالحقيقة ربيعاً لاحلامي وقد تحققت فيه مواعيد جميع السنين المقبلة . فقد ملأ قلبي فرحاً ، فنمَوت كالبنفسج خجولة في نور مجيئه .

واليوم لا تستطيع تقلبات فصول العالم التي لم تصر لنا بعدُ أن تمحو جماله من عالمنا هذا .

الا ان يسوع لم يكن حلماً ولا فكرة تمخضت بها احلام الشعراء بل كان رجلًا مثلك ومثلي بالبصر والسمع واللمس ، وفي جميع ما تبقى كان يختلف كل الاختلاف عن جميعنا .

فقد كان رجل افراح ، وعن طريق الفرح تعرّف الى كآبة جميع الناس، ومن اعالي سطوح كآبته رأى فرح جميع الناس.

ان الرؤى التي رآها لم نرها نحن ، والاصوات التي سمعها لم نسمعها ، وكان يتكلم مخاطباً جموعاً غير منظورة ، بل كثيراً ما تكلم بواسطتنا لأقوام لم يولدوا بعد .

وكان يسوع وحده في اكثر الاحيان ، فقد كان بيننا ولكنه لم يكن واحداً منا . وكان على وجه الارض ، ولكنه كان من السماء. ونحن لا نقدر ان نرى ارض وحدته الا في وحدتنا.

قد احبنا حباً ممتلئاً بالعطف والحنان . وكان قلبه معصرة . وأنت وأنا كان في منالنا ان نتقدم اليه بكؤوسنا فنشرب حتى نرتوي .

ان امرأً واحـداً لم أكن أفهمه في يسوع ، وهو انه كان كثير المجون مع سامعيه، فهو يخبرهم ملحةً ويلعب بالالفاظ، ثم يضحك من اعماق قلبه حتى في الاوقات التي كانت ترتسم فيها الكآبة على عينيه وتمتزج بدقائق صوته . كل هـذا لم أفهمه في ذلك الوقت ولكنني أَفهمه الآن .

كثيراً ما افكر في الارض فأتمثلها امرأة حبلى ببكرها . وعندما ولد يسوع كان ابنها البكر . وعندما مات كان اول رجل يموت .

لانه ، ألم يظهر لك ان الارض كانت صامتةً في تلك الجمعة المظلمة ، والسماوات كانت في حرب شديدة ضد السماوات ؟

بل ، ألم تشعر عندما اختفى وجهه عن ابصارنا باننا لم نكن سوى تذكارات هائمة في الضباب ؟

كلاوبا البترونى

الشريعة والانبياء

عندما تكلم يسوع صمت العالم كله ليصغي . ان كلماته لم تكن لآذاننا بل بالاحرى للعناصر التي صنع الله منها هذه الأرض .

فقد خاطب البحر ، الأمّ المتسعة الصدر التي ولدتنا . وخاطب الجبل ، أخانا الأكبر الذي قنّته وعدٌ ورجاء .

وخاطب الملائكة الذين وراء البحر والجبل ، الذين استودعناهم احلامنا قبل ان جف الطين الذي فينا في اشعة الشمس .

ولا يزال خطابه هاجعاً في صدرنا كأغنية الحب نصف المنسية ، وفي بعض المرات يخترق طريقه الى ذاكرتنا .

كان خطابه بسيطاً فرحاً ، وكانت رنة صوته كالماء العذب في أرض ناشفة .

وقد رفع يده مرة نحو السماء فبدت اصابعه كأغصان الجميزة وقال بصوت عظيم : قد خاطبكم انبياء القدماء ، وآذانكم ممتلئة من خطبهم ، أما أنا فاقول لكم : افرغوا آذانكم مما سمعتم .

وهذه الكلمات التي قالها يسوع : اما أنا فأقول لكم... لم

يتلفظ بها رجل من قومنا ، ولا من العالم أجمع ، بل حملها الينا جوق من الساروفيم في مروره بسماء اليهودية .

وكان يقتطف أقوال الشريعة والانبياء مثنى وثلاث ورباع ثم يضيف اليها في كل مرة قائلًا : اما أنا فأقول لكم .

يا لها من كلمات ناريّة ، يا لها من أمواج بحر لم تعرفها شواطىء افكارنا ، أما أنا فأقول لكم ! يا لها من كواكب لامعة تنشد ظلمة النفس ، ونفوس مستيقظة تنتظر جلال الفجر!

ان من يود ان يتكلم عن خطاب يسوع يجب ان يكون له خطابه او صدى خطابه ، أما أنا فليس لي خطابه ولا صداه ، فارجو من فضلكم عذراً عن الشروع في قصة لا أقدر ان اكملها . ولكن النهاية ليست على شفتيّ بعدُ ، فانها ما زالت اغنية حب في الريح .

نعمان الغداريني

موت استفانوس

قد تفرق تلاميذه ، لانه وصّى لهم بالالم قبل ان سيق الى الموت . واعداؤهم يصطادونهم صيد الغزلان وثعالب الحقول ، ولا تزال جعبة الصياد ممتلئة بالسهام .

ولكن عندما يقبض العدو عليهم ويسوقهم الى الموت يفرحون وتشرق وجوههم كوجه العروس في وليمة العرس . فقد ترك لهم ايضاً وصية الفرح .

كان لي صديق من أهل الشمال اسمه استفانوس ، وبما انه نادى بيسوع ابن الانسان قادوه الى ساحة المدينة ورجموه .

وعندما سقط استفانوس على الأرض بسط ذراعيه كأنه يودّ ان يموت كما مات معلمه . وقد انبسطت ذراعاه كجناحين على أهبة الطيران . وقبل ان يضمحل آخر بريق في عينيه رأيت بأم عيني ابتسامة قدسية ترتسم على شفتيه . وما اشبه تلك الابتسامة بالنسيم الذي يأتي قبل نهاية الشتاء واعداً ومبشراً بقدوم الربيع ! كيف استطيع ان اصفها ؟

يلوح لي ان استفانوس كان يود ان يقول : اذا كان لي ان امضي الى عالم آخر ، وهناك قبض عليّ قوم آخرون وساقوني الى ساحة مدينتهم ليرجموني ، فانني حتى في ذلك العالم سأعلنه للناس من أجل الحق الذي كان فيه ، ومن أَجل الحق نفسه الذي هو فيّ الآن .

وقد لاحظت بين المتفرجين على رجم استفانوس رجلًا واقفاً امامه ينظر بملء الفرح الى الحجارة المتساقطة عليه .

وكان اسم ذلك الرجل شاوول الطرسوسي ، وهو الذي سلم استفانوس للكهنة والرومانيين والجموع ليرجموه .

كان شاوول اصلع الرأس قصير القامة . وكان معوجّ الكتفين ولا تناسب في قوامه ، ولم أكن احبه .

وقد اخبروني انه يبشر اليوم بيسوع من على السطوح ، ولكن هذا الكلام صعب التصديق .

ولكن القبر لا يستطيع ان يقف في طريق سير يسوع الى معسكر اعدائه ليروض شراستهم ويأسر اعظمهم .

بيد انني لا احب ذلك الرجل الطرسوسي، على رغم ما عرفته انه بعد موت استفانوس قد خمدت حدة شراسته وغلب على امره في طريقه الى دمشق . ولكن رأسه اكبر من قلبه ، فهو لا يقدر ان يكون تلميذاً اميناً . ومع كل هذا فقد اكون مخطئاً في حكمي ، لانني في الغالب مخطىء في احكامي .

توما

يصف جده وشكوكه

قال لي جدي مرة ، وكان متشرعاً : لنحتفظ بالحق عندما يظهر الحق لنا .

وعندما دعاني يسوع لبّيت دعوته، لان امره كان اقوى من ارادتي ، ولكنني لم أنسَ نصيحة جدي ، رحمه الله .

وعندما كان يخاطبنا فيتحرك غيري من السامعين كأغصان الاشجار المتمايلة امام هبوب الرياح ، كنت أصغي اليه من غير ان اتحرك ، ولكنني على رغم ذلك احببته .

قد تركنا منذ ثلاث سنوات جماعة متفرقة تترنم باسمه ، وتشهد له في جميع الأمم .

وقد دُعيت في ذلك الوقت بتوما المشكك ، لان خيال جدي كان ألزم لي من ظلي ، وكنت أَلتمس اظهار الحقيقة لألمسها بيدي ابداً .

في ذلك العهد المظلم بالشك كنت اضع يدي في جرحي لأرى الدماء تنزف منه قبل ان اصدق ما بي من الألم .

ولكنني قد عرفت الآن ان الرجل الذى يحب بقلبه ويحتفظ

بالشكوك في فكره ، هو عبد محكوم عليه بالتجذيف في سفينة مظلمة ، ينام امام مجاذيفه ويحلم بحريته حتى توقظه سياط سيده .

فانا كنت مثل هذا العبد ، وقد حلمت بالحرية ، ولكن نوم جدي كان يثقل اجفاني . وقد احتاج جسدي الى سياط يومي .

انني حتى في حضرة الناصري كنت اغمض عينيّ لأرى يديّ مربوطتين الى المجذاف .

الشك ألمٌ انسته وحدته انه والايمان توأمان .

الشك فرخ من الطير ضالّ وشقي ، ومع ان امه التي ولدته ستجده وتضمه الى صدرها ، فانه يهرب منها حذراً خائفاً .

ولن يعرف الشك سبيله الى الحق حتى تشفى جراحه وتعود صحته .

فأنا شككت في يسوع حتى اظهر لي ذاته ، ووضعت يدي في جراحه ، حينئذ آمنت بالحقيقة ، وبعد ذلك تحررت من امسي ومن جميع شكوك الأمس التي ورثتها عن جدودي .

فقد دفن الميت فيّ موتاه ، والحي فيّ سيعيش للملك الممسوح ، ذلك الذي دعي ابن الانسان .

قد اخبروني في الأمس انه يجب ان اسير مبشراً باسمه بين ابناء فارس والهند .

انني ماضٍ الى عملي . ومن هذا اليوم الى آخر ايامي ، في الفجر وفي المساء ، سأرى ربي قائماً بجلال وسأسمعه متكلماً .

المقدم المنطقي

يسوع الخارجي

تطلبون اليّ ان أتكلم عن يسوع الناصري ، ولديّ عنه حديث مستفيض ، ولكن لم يأت الوقت بعد ، ولكن مهما قلت عنه الآن فهو الحق بعينه ، لأن كل قول لا قيمة له ما لم يوضح الحقيقة .

انه رجل مختل ، يثور على النظام ، ومتسول يقاوم المقتنيات ، وسكير لا يفرح الا مع المحتالين والمرذولين .

لم يكن ابن الولاية الفخور ، ولا ابن الامبراطورية المتمتع بحمايتها كسائر المواطنين النافعين ، ولذلك كان يحتقر الولاية والامبراطورية .

وكان يعيش حراً لا يعرف الواجب كطيور الهواء ، ولذلك انزله الصيادون الى الأرض بسهامهم .

ما من رجل يدك قباب الامس وينجو من حجارتها المتساقطة .

وما من رجل يفتح ابواب طوفان اسلافه من غير ان يختنق .

هي الشريعة . وبما ان ذلك الناصري كسر الشريعة صار هو واتباعه البلداء الى لا شيء .

وقد عاش في العالم كثيرون مثله من الرّجال الذين ارادوا ان يغيروا مجرى حياتنا .

ولكنهم هم أنفسهم تغيروا ، وكانوا خاسرين .

*

توجد دالية لا عنب فيها تنمو عند أسوار المدينـة ، وهي تمتد وتعرش على حجارة السور، فاذا قالت هذه الدالية في قلبها: انني سأخرب هذه الجدران بقوتي وثقل اغصاني ، فماذا تقول لها بقية النباتات ؟ انها ولا شك تضحك من جنونها .

لأجل هذا تراني يا سيدي مضطراً الى الضحك من هـذا الرجل ومن تلاميذه المخدوعين به .

احدى المريمات

كآبة وابتسامة

كان رأسه مرتفعاً ابداً ، ونور الرب كان في عينيه .

وكان في الغالب كئيباً ، ولكن كآبته كانت بلسماً لجراح الحزانى والمستوحشين .

وعندما كان يبتسم كانت ابتسامته كمجاعـة المشتاقين الى غير المعروف ، بل كانت كغبـار الكواكب المتساقط عـلى اجفان الاولاد ، وكقطعة الخبز في الحلق .

كان كئيباً ، ولكن كآبته كانت من النوع الذي ينهض الى الشفتين ويتحول الى ابتسامة .

فقد كانت كقناع ذهبي في الحرج عند دنو الخريف . وفي بعض المرات كانت تبدو لنا كأشعة القمر على شواطىء البحيرة .

فكان يبتسم كأن شفتيه تودان الغناء في وليمة عرس .

بيـد أنه كان كئيبـاً بكآبة ذي الجناحين الذي لا يريد أن يحلـّق فوق رفيقه .

رومانوس الشاعر اليوناني

يسوع الشاعر

كان يسوع شاعراً . وكان يرى لعيوننا ويسمع لآذاننا ، وكلماتنا الصامتة كانت على شفتيه ، وأصابعه كانت تلامس ما لم نقدر نحن ان نحس به .

وكانت تطير من قلبه عصافير مغردة لا عديد لها بعضها الى الشمال وبعضها الى الجنوب ، وكانت الازهار اللطيفة في جوانب التلال تسدد خطواته نحو السماوات .

كثيراً ما رأيته ينحني ليلامس اوراق الاعشاب ، وفي قلبي كنت اسمعه يخاطبها قائلاً : ايتها المخلوقات الصغيرة الخضراء ، انت ستكونين معي في ملكوتي كما سيكون معي سنديان بيسان وارز لبنان .

وكان يحب كل ما هو جميل في الوجود ، الوجوه الخجولة في الاولاد ، والمر واللبان من الجنوب .

قد أحب رمانة أو كأساً من الخمر تقرب اليه بمودة ، ولم يهمه اجاءت من غريب في الفندق او من مضيف غني .

وكان يحب ازهـار اللوز . وقد رأيتـه مرة يجمعها بيديه ويغطي وجهه باوراقها كأنه يود ان يعانق بمحبته كل اشجار العالم. قد عرف البحر والسماوات ، وتكلم عن الدرر التي لم تتخـذ نورها من هذا النور ، والكواكب القائمة فوق ليلنا .

وعرف الجبال كما تعرفها النسور ، والاودية كما تعرفها السواقي والجداول ، وكان في صمته صحراء ، وفي كلامه جنة غنّاء .

نعم كان يسوع شاعراً قد أقام قلبه في مظلة تسمو عـلى أعالينا ، ومع ان ترانيمه انشدت لآذاننا فقد انشدت ايضاً لآذان اخرى ، وسمعها الناس في بلاد اخرى حيث الحياة كلها شباب دائم والزمان كله فجر مقيم .

قد حسبت نفسي شاعراً فيما مضى ، ولكنني عندمـا وقفت امامه في بيت عنيا عرفت للحال ما مقام الضارب على آلة ذات وتر واحد امام الذي يأمر جميع الآلات وجميع الأوتار فتطيعه ، فقد اجتمع في صوته ضحك الرعود ، ودموع الأمطار ، ورقص الرياح والأشجار .

ومذ عرفت هذا صارت قيثارتي ذات وتر واحد ، ولم يعد لصوتي ان يحوك لا تذكارات الامس ولا آمال الغد ، ولذلـك رميت بقيثارتي جانباً وعولت على الاعتصام بالصمت . ولكنني عند كل شفق اصغي بجماع نفسي ، لأسمع الشاعر الذي هو أمير جميع الشعراء .

لاوي التلميذ

في المجربين والمرائين

في احد الأمساء مر يسوع ببيتي، فاستيقظت نفسي في اعماقي.

فخاطبني قائلاً: هلم يا لاوي واتبعني.

فتبعته في ذلك اليوم.

وفي مساء اليوم التالي طلبت اليه ان يدخل بيتي ويشرفني بضيافته، فعبر فوق عتبتي هو واصدقاؤه وباركني مع امرأتي وأولادي.

وكان في بيتي ضيوف غيره من الكتبة والعلماء ولكنهم كانوا ضده في قلوبهم.

وعندما جلسنا الى المائدة سأله احد الكتبة قائلاً:

أحقيقة انك انت وتلاميذك تكسرون الشريعة بايقادكم ناراً يوم السبت؟

فأجابه يسوع قائلاً: نحن بالحقيقة نوقد ناراً يوم السبت، فاننا نود ان ننير يوم السبت، ونحرق بمشعالنا كل القش اليابس المتجمع في جميع الأيام.

فقال له كاتب آخر: وقد اخبرونا انك تشرب خمراً مع غير الأنقياء في الفندق.

فأجاب يسوع وقال : نعم وهذه أيضاً نتنعم بها . افهل جئنا الى هنا الا لنشاطر غير المتوجين فيكم رغيفهم وكأسهم؟

قليلون، بل اقل من القليلين هم الذين لا ريش لهم ولكنهم يجرؤون على مقاومة الريح ، وكثيرون هم المجنّحون والمريشون الذين ما برحوا في اعشاشهم .

ونحن نطعم الجميع بمنقارنا ، الكسالى والمجتهدين بالسوية .

فقال كاتب ثالث : ألم أسمع انك تحامي عن زواني اورشليم؟

حينئذ رأيت بعيني كأن اعالي لبنان الصخرية قد ارتسمت على وجه يسوع ، فقال : نعم ، كل ما سمعتموه حقيقي .

ففي يوم الحساب ستقف هؤلاء النساء امام عرش ابي ، وسيتنقين بدموعهن ، اما انتم فسيحكم عليكم بقيود دينونتكم .

ان بابل لم تخربها الزواني ، ولكن بابل تحولت الى رماد لكي لا تنظر عيون المرائين فيها نور النهار فيما بعد .

وكان كتبة آخرون يودون ان يسألوه أيضاً ، غير انني اشرت عليهم بالصمت ، لانني عرفت انه سيخذلهم ، وبصفتهم ضيوفاً في بيتي لم اشأ ان تلحقهم اهانة .

وعند انتصاف الليل ترك الكتبة منزلي وقد تخلعت نفوسهم .

حينئذ اغمضت عينيّ فرأيت ، كما لو كنت في رؤيا ، سبع نساء بثياب بيضاء واقفات حول يسوع . وكنّ واقفات بخشوع

وقد صلّبن اذرعهن عـــلى صدورهن وحنين رؤوسهن . واذ تأملت مليّاً بضباب حلمي نظرت وجه واحدة منهن فأشرق لامعاً في ظلمة خيالي .

وكان ذلك الوجه وجه الزانية التي عاشت في اورشليم .

ثم فتحت عينيّ ونظرت الى يسوع ، فاذا هو يبتسم وينظر اليّ والى جميع الذين لم يتركوا المائدة .

فأغمضت عينيّ ثانية ، وهنالك رأيت في النور سبعة رجـال بثياب بيضاء واقفين حول المعلم . وإذ تأملتهم عرفت وجهاً من وجوههم .

وكان ذلك الوجه وجه اللص الذي صلب فيما بعد عن يمينه .

وبعد ذلك ترك يسوع واصحابه منزلي وساروا في طريقهم.

ارملة الجليل

يسوع القاسي

كان ابني بكراً لي وكان الولد الوحيد الذي ولدته . وكان يشتغل في حقلنا ، وكان راضياً بعمله حتى سمع الرجل المدعو يسوع يخاطب الجموع ، حينئذ تغير ابني فجأة ، كأن روحاً غريبة غير صحيحة عانقت روحه .

فترك الحقل والبستان ، وتركني أنا ايضاً ، وصار خاملاً يعيش بين رعاع الطريق .

ان ذلك الرجل ، المدعو يسوع الناصري ، شرير ، لان اي رجل صالح يفصل ابناً عن والدته ؟

وكان آخر ما قاله لي ابني هكذا : انا ماض مع أحد تلاميذه الى البلاد الشمالية ، لأنني قد جددت بناء حياتي على صخرة الناصري ، انت قد ولدتني وانا شاكر صنيعك ، ولكن الواجب الأسمى يدعوني الى الذهاب . اما انا تارك لك ارضنا الغنية وكل ما لنا من الفضة والذهب ؟ انني لن احمل معي شيئاً الا هذا الثوب وهذه العصا .

هكذا خاطبني ابني وفارقني .

واليوم قد قبض الرومانيون والكهنة على يسوع وصلبوه، وحسناً فعلوا .

فان الرجل الذي يفرق الابن عن امه لا يمكن ان يكون من الله .

والرجل الذي يرسل اولادنا الى مدن الامم لا يقدر ان يكون لنا صديقاً .

انني اعرف ان ابني لن يرجع اليّ ، فقد رأيت ذلك في عينيه ، ولاجل هذا ابغض يسوع الناصري الذي سبب وحدتي في هذا الحقل غير المفلوح وهذا البستان الذابل .

وقد ابغضت كل من يمدحه .

قيل لي منذ ايام ان يسوع قال مرة: ان ابي وأمّي واخوتي هم الذين يسمعون كلامي ويتبعونني .

ولكن لماذا يجب على الابناء ان يتركوا امهاتهم ويتبعوا خطواته ؟

ولماذا يجب ان ينسى حليب ثديي في سبيل ينبوع لم يذق بعد؟ وحرارة ذراعيّ يعرض عنها من اجل بلاد الشمال الباردة والممتلئة بالعداء .

الا انني ابغض ذلك الناصري ، وسأبغضه الى آخر أيامي ، لانه سرق بكري وحرمني وحيدي .

يهوذا نسيب يسوع

موت يوحنا المعمدان

حدث في ليلة من ليالي آب اننا كنا مع المعلم في مرج قريب من البحيرة. وقد اطلق القدماء على هذا المرج اسم مرج الجماجم.

وكان يسوع مضطجعاً على العشب يتأمل النجوم .

وحدث فجأة ان رجلين ركضا الينا بانفاس متقطعة ، وكانت امائر الألم مرتسمة على ملامحهما، فركعا على قدمي يسوع.

فوقف يسوع وقال لهما : من اين جئتما ؟

فأجابه أحدهما : من ماخاروس .

فنظر اليه يسوع مضطرباً وقال : وما حلّ بيوحنا ؟

فأجابه الرجل: قد قتلوه اليوم، وقد قطعوا رأسه في سجنه. فرفع يسوع رأسه ، ثم مشى بعيداً عنا قليلاً . وبعد هنيهة رجع ووقف في وسطنا .

فقال لنا : كان في منال الملك ان يقتل النبي قبل اليوم. بالحقيقة ان الملك قد جرب كل ملذات رعاياه ، ولكن ملوك القدماء لم يكونوا بطيئين هكذا باعطاء رأس نبي الى صيادي الرؤوس .

اني لست حزيناً من اجل يوحنا ، بل انا حزين من اجل هيرودوس الذي سمح بسقوط السيف . مسكين هو الملك ! فهو كالحيوان الذي يقبضون عليه ويقودونه بحلقة وحبل .

ما اشقى رؤساء الربع هؤلاء ! فانهم اذ يتيهون في ظلمتهم يعثرون ويسقطون . وهل ترجون من البحر القذر الا اسماكاً ميتة ؟

انا لا ابغض الملوك ، فليحكموا الناس ، ولكن على شرط ان يكونوا احكم من الناس .

ثم نظر المعلم الى وجهي الرسولين الكئيبين والى وجوهنا وخاطبنا ثانية وقال : قد ولد يوحنا مجروحاً . وكان دم جرحه يفيض مع كلامه . فقد كان حرية لم تتحرر بعد من ذاتها ، وصبراً لا يعرف الا المستقيمين والابرار .

بالحقيقة انه كان صوتاً صارخاً في ارض الذين لهم آذان ولا يسمعون ، وقد احببته في كآبته ووحدته .

واحببت كبرياءه التي قدمت رأسها للسيف قبل ان تسلمه للتراب .

الحق اقول ان يوحنا بن زكريا هو آخر ابناء جنسه ، وقد قتل كأسلافه بين عتبة الهيكل والمذبح .

ثم مشى ثانية بعيداً عنا قليلًا .

وبعد دقيقة من الزمان رجع وقال : هكذا كان وهكذا سيكون . ان الذين يحكمون ساعة سيقتلون الذين يحكمون اعواماً، وهكذا سيكون ابداً انهم يعقدون مجالسهم ويحكمون على الرجل الذي لم يولد بعد ، ويقضون بموته قبل ان يرتكب الجريمة .

ان ابن زكريا سيعيش معي في ملكوتي وسيكون نهاره طويلا .

ثم التفت الى تلميذي يوحنا وقال : لكل عمل غده . وانا نفسي قد اكون غداً لهذا العمل . فاذهبا الى اصدقاء صديقي وقولا لهم انني سأكون معهم .

فانصرف الرجلان في طريقهما ، وكانا أقل كآبة من الوقت الذي وصلا فيه .

اما يسوع فاضطجع على العشب ثانية وبسط ذراعيه وعاد الى التأمل بالنجوم .

وكانت ساعة متأخرة من الليل، وكنت متكئاً بجانبه، اتوق الى الراحة من كل قلبي، ولكن يداً خفية كانت تقرع على بوابة نومي ، ولذلك بقيت مستيقظاً حتى دعاني يسوع والفجر الى الطريق .

رجل من الصحراء

في الصيارفة

كنت غريباً في اورشليم . وقد أتيت الى المدينة المقـدسة لأنظر الهيكل العظيم ، واقدم ذبيحتي على المذبح ، لان زوجتي ولدت صبيين توأمين لقبيلتي .

وبعد ان قدمت ذبيحتي وقفت في رواق الهيكل انظر الى الصيارفة وبائعي الحمام ، وأصغي الى الضجيج العظيم المتصاعـد من الدار .

وفيما كنت واقفاً دخل رجل فجأة ووقف في وسط الصيارفة وبائعي الحمام .

وكان رجلًا وقوراً عظيماً ، وقد دخل بسرعة عجيبة .

وكان يحمل بيده حبلًا مصنوعاً من جلود التيوس ، فشرع يقلب موائد الصيارفة ويضرب بائعي الطيور بحبله .

وقد سمعته يقول بصوت عظيم : اطلقوا هـذه الطيور في الجو الذي هو عشّها .

وكان الرجال والنساء يهربون من امام وجهه ، وهو يتحرك بينهم كما تتحرك زوبعة الرياح على تلال من الرمل .

كل هذا حدث بلحظة واحـدة ، ففرغت دار الهيكل من الصيارفة . ولكن الرجل وقف هناك وحده ، وكان اتباعـه يقفون بعيداً عنه .

ثم ادرت وجهي فرأيت رجـلا آخر في رواق الهيكل . فسرت اليه وقلت له : هـل لسيدي ان يخبرني من هو هـذا الرجل الواقف وحده كأنه هيكل ثانٍ ؟ فاجابني وقال : هذا هو يسوع الناصري ، النبي الذي ظهر اخيراً في الجليل ،ولكن جميع الناس هنا في اورشليم يبغضونه .

فقلت : ان في قلبي من القوة ما يحملني لأن اكون مع سوطه ، وفيه من الاستسلام ما يحملني للسجود عند قدميه .

اما يسوع فانه رجع الى رفقـائه الذين كانوا ينتظرونه . ولكن قبل ان يصل اليهم رجعت ثلاث حمامات مـن حمام الهيكل فحطت واحدة على كتفه اليسرى والاثنتان عند قدميه، فوضع يده بلطف عجيب على كل منها ، ثم تابع سيره ، وكان في كل خطوة من خطواته فراسخ عديدة .

بربكم اخبروني باية قوة ضرب المئات من الرجـال والنساء وفرقهم من غير اقل مقاومة ؟ فقد قيل لي انهم كلهم ابغضوه ، ولكن لم يجرؤ أحد أن يقف أمامه في ذلك اليوم . فهل قلع أنياب البغض في طريقه الى دار الهيكل ؟

بطرس

في مستقبل التلاميذ

ذهب بنا يسوع مرةً عند غروب الشمس الى قرية بيت صيدا . وكان التعب آخذاً مأخذه من جماعتنا ، وكان غبار الطريق محيقاً بنا . فأتينا الى منزل كبير في وسط بستان جميل، وكان رب البيت واقفاً أمام البوابة .

فقال له يسوع : ان هؤلاء الرجال تعبون ، وقد تقرحت أقدامهم من المشي، فدعهم ينامون في بيتك، فان الليلة باردة وهم في حاجة الى الدفء والراحة .

فأجاب الغني وقال : انهم لن يناموا في بيتي .

فقال له يسوع : فاسمح لهم اذاً أن يناموا في بستانك .

فأجاب الرجل : كلا ولا اسمح لهم بالنوم في بستاني .

ثم التفت يسوع الينا وقال: ان هذا مثال مما ستصيرون اليه في الغد ، وهذا الحاضر يشبه مستقبلكم . ان جميع الابواب ستقفل في وجوهكم ، حتى ان البساتين المتكئة تحت النجوم ستقفل أبوابها دونكم .

فاذا صبرت أقدامكم على عنـاء الطريق وثبتـُّم ، تتبعوني ، فانكم قد تجدون طستاً وفراشاً ، وربما خبزاً وخمراً ايضاً . ولكن اذا حدث ولم تجدوا شيئاً من هذا فلا تنسوا في ذلك الوقت انكم قد عبرتم صحراء واحدة من صحارى معلمكم .

هلم بنا نمضي من هنا .

اما الرجل الغني فانه كان مضطرباً ، وقد تغير لون وجهه ، وكان ينطق بكلمات لم اسمعها ، فتحوّل عنا وارتد الى بستانه.

وهكذا تبعنا يسوع على الطريق .

ملاخي الفلكي البابلي

في عجائب يسوع

تسألونني عن عجائب يسوع .

في كل الف الف سنة تجتمع الشمس والقمر وهذه الأرض وجميع شقيقاتها السيارات في خط مستقيم ، ويتباحثن معاً هنيهة واحدة .

ثم يتفرقن ببطء وينتظرن مرور الف الف سنة اخرى .

لا عجائب في الوجود وراء الفصول ، ولكن انت وأنا لا نعرف كل الفصول ، وما قولك في فصل كامل يتجسد بشكل رجل واحد ؟

في يسوع اجتمعت كل عناصر أجسادنا واحلامنا طبقاً للشريعة . وكل ما كان من قبله سابقاً لاوانه قد وجد فيه اوانه .

يقولون انه كان يعطي العميان بصراً والمقعدين مقدرةً على المشي ، وانه كان يخرج الشياطين من المجانين .

قد لا يكون العمى الا فكرةً مظلمة يمكن التغلب عليها بفكرة ملتهبة . وقد لا يكون العضو المشلول الا خمولاً يمكن

ايقاظه بالقوة المتحركة . وقد يكون ان الشياطين ، وهي العناصر القلقة في حياتنا، تخرجهم منا ملائكة السلامة والطمأنينة.

ويقولون انه أعاد الموتى الى الحياة . فاذا كنت تقدر ان تخبرني ما هو الموت فانا حينئذ اخبرك ما هي الحياة .

نظرت مرة في أحد الحقول بلوطة هادئة لا قيمة لها ولا شأن . وعدت في الربيع فرأيت تلك البلوطة تمد جذورها في الأرض وتنهض لتصير سنديانة جبارة امام وجه الشمس .

أنت ولا شك تحسب هذا اعجوبة ، ولكن هذه الاعجوبة تجترح الف الف مرة في غفلة كل خريف وشوق كل ربيع .
فماذا يمنع حصولها في قلب الانسان ؟ أفلا تقدر الفصول ان تجتمع في يد انسان ممسوح أو على شفتيه ؟

فاذا كان إلهنا قد منح الأرض ان تحتضن البذور في حين ان البذور ميتة بحسب الظاهر ، فلماذا لا يمنح قلب الانسان ان ينفخ نسمة الحياة في قلب آخر ، وان كان هذا القلب ميتاً بحسب الظاهر ؟

*

قد تكلمت عن هذه العجائب التي لا اعيرها سوى القليل من الانتباه تجاه الاعجوبة الكبرى ، التي هي الرجل نفسه ،

العابر السبيل ، الرجل الذي حوّل نفاية الصدإ فيّ الى ذهب وهّاج ، وعلمني كيف أحب الذين يبغضونني ؛ وبعمله هذا حمل اليّ التعزية الكاملة وكلل نومي بالاحلام اللذيذة .

هذه هي الاعجوبة في حياتي .

كانت نفسي عمياء ، وكانت نفسي عوجاء ، وكان في أعماقي كثير من الأرواح القلقة ، وكنت ميتاً .

أما اليوم فأنا أرى بوضوح ، وأمشي مستقيماً ، وقد عاودتني سلامتي ، وأنا أعيش لأشهد واعلن عجائب كياني في كل ساعة من النهار .

وأنا لست من أتباعه ، بل أنا فلكي شيخ أزور حقول الفضاء مرة في كل فصل ، وأحترم الشريعة واصدق بعجائبها .

أنا الآن في شفق زماني ، ولكنني كلما فتشت عن فجره انما افتش بالحقيقة عن شباب يسوع .

ان العمر ينشد الشباب ابداً ، ولكن بي تفتش المعرفة عن الرؤيا .

فيلسوف

في العجب والجمال

عندما كان معنا كان ينظر الينا والى أعمالنا بعين العجب، لان عينيه لم تتقنعا ببرقع السنين، وكل ما رآه كان واضحاً في نور شبابه .

ومع انه سبر غور الجمال فقد كان يندهل أبداً أمام سلامه وجلاله ، وقد وقف أمام الأرض كما وقف الانسان الأول أمام اليوم الأول .

أما نحن الذين تخدرت حواسنا فاننا ننظر في نور النهار الكامل ولكننا لا نرى شيئاً . فنحن نحجم آذاننا ولكننا لا نسمع، ونمد أيدينا ولكننا لا نلمس . ولو احترق أمامنا كل بخور العربية فاننا نسير في طريقنا من غير ان نشمّ رائحة .

نحن لا نرى الزارع عائداً من حقله عند المساء ، ولا نسمع مزمار الراعي وهو يقود قطيعه الى العلف ، ولا نمد اذرعنا لنلامس غروب الشمس ، ومشامّنا لا تجوع فيما بعدُ لعبير زهور شارون .

أجل ، نحن لا نكرم ملوكاً بدون ممالك ، ولا نسمع أنغام القيثارة ما لم نضع أوتارها بايدينا ، ولا نرى الولد الذي يلعب في بستان زيتوننا كما لو كان هو نفسه شجرة من الزيتون . وجميع الأقوال يجب أن تخرج من شفاه من اللحم ، وإلا فنحن نحسب بعضنا بعضاً خرساً وصماً .

بالحقيقة اننا ننظر ولا نبصر ، ونصغي ولا نسمع ، ونأكل ونشرب ولكننا لا نذوق . وفي جميع هذا يقوم الفرق الاولي بين يسوع الناصري وبيننا .

فقد كانت جميع حواسه تتجدد فيه ابداً ، وكان العالم في نظره جديداً دائماً .

ولم يكن نظره الى تمتمة الطفل بأقل من نظره الى صراخ الانسانية بكاملها ، في حين انها في نظرنا تمتمة طفل لا أكثر ولا أقل .

وكان جذر الشقيق الأصفر في عقيدته حنيناً الى الله ، ولكنه ليس في نظرنا سوى جذر بسيط .

اوريا الشيخ الناصري

كان غريباً في وسطنا

كان غريباً في وسطنا ، وكانت حياته مستورة تحت نقاب مظلم . لم يسر في طريق إلهنا ، ولكنه اتبع طرق الأشرار والأردياء .

قد ثارت صبوته ورفضت حلاوة الحليب الذي في طبيعتنا .

وكان شبابه ملتهباً كالقش اليابس المحترق في الليل .

وعندما صار رجلاً حمل السلاح ضدنا جميعاً .

ان أمثال هؤلاء الرجال يحبل بهم في جزر اللطف البشري ويولدون في العواصف الشريرة . وفي العواصف الهوجاء يعيشون يوماً ثم يهلكون الى الأبد .

ألا تتذكرونه جيداً وهو في عهد الفطام ، يجادل شيوخنا العلماء ، ويهزأ بجلالهم ووقارهم ؟

أفلا تذكرون شبابه ، إذ عاش بين المنشار والازميل رافضاً ان يرافق ابناءنا وبناتنا في أيام الأعياد ومختاراً العزلة لنفسه .

ولم يكن يرد تحيةً لمن يحييه من المارّة كأن طينتهُ أرفع من طينتنا .

قد رأيته أنا نفسي مرةً في الحقل فحييته ، فابتسم فقط ، فرأيت في ابتسامته غطرسة واحتقاراً .

وبعد ذلك بقليل من الزمن ذهبت ابنتي الى الكرم مع رفيقاتها لتقطف العنب ، وهي أيضاً خاطبته فلم يردّ عليها جواباً .

بيد انه وجه خطابه لجميع العاملات في الكرم ، كأن ابنتي لم تكن معهنّ .

وعندما ترك أهله وهام في البلاد خسر كل شيء وصار ثرثاراً ، وكان صوته كالمخلب ينشب في أجسادنا ، ولا يزال صدى صوته ألماً في ذاكرتنا .

انه لم يتكلم بغير الشر عنا وعن آبائنا وأجدادنا . وكان لسانه كالسهام المسمومة في قلوبنا .

هذا هو يسوع .

ولو كان هذا ابناً لي لكنت أرسلته مع جيوش الرومانيين الى بلاد العرب ، ولكنت طلبت الى القائد ان يضعه في مقدمة المقدمة من الجيش في ساحة الحرب لتذهب به سهام العدو وتحررني من غطرسته ووقاحته .

ولكن لا ابن لي ، وأنا شاكر ربي على ذلك ، لانه ماذا كان يصيبني لو ان ابني كان عدواً لشعبه ، وكان شعري الابيض اليوم يطلب الرماد في عاره ولحيتي البيضاء تحتقر وتهان ؟

نيقوذيموس الشاعر

اصغر الشيوخ في السنهدريم

كثيرون هم الأغنياء الذين يقولون ان يسوع وقف في طريق نفسه وقاوم ذاته ، وانه لم يعرف فكره ، وفي ضياع هذه المعرفة عمل على تضليل ذاته .

بالحقيقة ما أكثر البوم التي لا تعرف من الاغاني غير ما شابه نعيبها .

أنا وأنت نعرف مشعوذي الكلام الذين لا يحترمون الا من كان أكبر شعوذة منهم ، هؤلاء هم الذين يحملون رؤوسهم في سلال الى السوق ويبيعونها بأول ثمن يعرض عليهم .

نحن نعرف الأقزام الذين يتحاملون على من تلمس رؤوسهم السماء ، ونعرف ما يقوله العوسج عن السنديانة والأرزة .

انني اشفق عليهم لانهم لا يقدرون ان يصعدوا الى الاعالي.

انني أشفق على الشوكة الجافة في حسدها للدردار الذي يجروء على الفصول .

ولكن الشفقة ، ولو أحاط بها اسف جميع الملائكة ، فهي لا تحمل لهم نوراً .

انني أعرف اللعين الذي يتمايل باثوابه الرثة على اذنات الزرع ولكنه ميت امام الزرع وامام الريح المترنمة .

واعرف العنكبوت التي لا جناح لها تحوك الشباك لاصطياد كل ذي جناح .

واعرف الماكرين ، ونافخي الابواق ، وضاربي الطبول ، الذين لا يستطيعون في وفرة ضجيجهم ان يسمعوا قنبرة السماء ولا الريح الشرقية في الغابة .

وأعرف الذي يجذّف في جميع الجداول ولكنه لا يجد الينبوع ، ويركض مع جميع الانهار ولكنه لا يجرؤ على السير الى البحر .

واعرف الذي يقدم يديه البليدتين الى رئيس البنائين في الهيكل ، وعندما ترفض يداه البليدتان ينبري قائلاً في ظلمة قلبه : سأهدم كل ما سيبنى .

انني اعرف جميع هؤلاء . فهم الذين يعترضون على ان يسوع قال مرة : انني أحمل سلاماً لكم . وفي مرة ثانية قال: انني أحمل سيفاً .

فهم لا يقدرون ان يفهموا انه نطق بالحقيقة عندما قال : انني أحمل سلاماً لأبناء السلامة ، وأضع سيفاً بين من يحب السلام ومن يحب السيف .

ويتعجبون كيف ان الذي قال : ان مملكتي ليست من هذا العالم ، قال أيضاً : اعطوا ما لقيصر لقيصر ، ولكنهم لا يعلمون انهم اذا رغبوا حقاً في أن يكونوا احراراً ليدخلوا ملكوت رغبات قلوبهم ، فالواجب يقضي عليهم ألا يقاوموا الحارس الواقف على بوابة حاجتهم . ففي مصلحتهم ان يدفعوا ذلك الرسم الحقير ليدخلوا الى تلك المدينة .

هؤلاء هم القائلون : قد علم باللطف والحنان والمحبة العائلية ولكنه لم يحفل بأمه واخوته عندما كانوا يفتشون عنه في شوارع اورشليم .

وهم لا يعلمون ان امه واخوته كانوا يودون في مخاوف محبتهم ان يرجعوه الى مصنع النجار ، أما هو فكان يريد ان يفتح عيوننا لنبصر فجر يوم جديد .

ان امه واخوته كانوا يريدون ان يعيش في ظل الموت ، أما هو فقد استنهد الموت على تلك التلة ليظل حياً في ذاكرتنا التي لا تنام .

انني أعرف هذه المناجذ التي تحفر الانفاق بدون غاية معروفة . اليسوا هم الذين يتحاملون على يسوع بقولهم انه كان يعظم نفسه عندما قال للجموع : انا الطريق والباب للخلاص ، وانه دعا نفسه الحياة والقيامة ؟

ولكن يسوع لم يدّعِ لنفسه اكثر مما يدعي شهر ايار في مده.

أفما كان له ان يعلن الحقيقة اللامعة لان لمعانها كان شديداً؟

فقد قال بالحقيقة انه الطريق والحياة والقيامة للقلب ، وأنا نفسي أشهد بصحة هذا القول .

أفلا تتذكرونني ، أنا نيقوديموس ، الذي لم يؤمن بغير الشريعة وأوامر الناموس ، وكان في مقدمة الطائعين للقانون ؟

فانظروا اليّ الآن ، تروا رجلاً يمشي مع الحياة ، ويضحك مع الشمس من ابتسامتها الاولى للجبال حتى تسلم نفسها الى فراشها وراء التلال .

لماذا تتوقفون امام كلمة الخلاص ؟ فانا نفسي بواسطته حصلت على خلاصي .

فلا يهمني اليوم ما سيصيبني في الغد، لانني أعرف ان يسوع انعش منامي وجعل لي من أحلامي البعيدة رفقاء واصدقاء للطريق.

فهل أصير أصغر من انسان اذا آمنت بمن هو أعظم من انسان؟

ان حواجز اللحم والدم قد سقطت عندما خاطبني شاعر الجليل . وقد قبضت عليّ روح ، فارتفعتُ الى الأعالي ، وفي وسط الهواء جمعت اجنحتي أغنية الهواء النقي .

وعندما نزلت عن متن الريح وظهرت غرابة آرائي في السنهدريم ، فانني حتى في ذلك المجلس الاعلى لم أخسر أغنيتي،

لان ضلوعي ، التي هي اجنحتي بغـير ريش ، قـد احتفظت بالاغنية وحرستها . وكل ما في الارض الحقيرة من الفقر المدقع لن يستطيع ان يسلبني كنزي .

قد تكلمت بما فيـه الكفاية . دع الطرش يدفنون تمتمـة الحياة في آذانهم الميتة . فانا راض بانغـام قيثارته التي كان يحملها ويضرب على أوتارها عنـدما سمروا يدي جسده عـلى الصليب ونزفت منهما الدماء .

يوسف الذي من الرامة

بعد عشر سنوات

الجدولان النابعان من قلب يسوع

كان في قلب الناصري جدولان يجريان : جدول القرابة مع الله الذي سماه أباً ، وجدول الهيام الذي دعاه ملكوت العالم العلوي وفي عزلتي طالما فكرت فيه ، وتبعت هذين الجدولين النابعين من قلبه . فعلى حافة الجدول الاول وجدت نفسي ، وكانت نفسي تارة متسولة وهائمة ، وطوراً أميرة في بستانها .

ثم تبعت الجدول الثاني في قلبه ، وفي طريقي وجدت رجلاً ضربه اللصوص وسرقوا ذهبه ، ولكن الابتسامة لم تفارق شفتيه . ولكنني لم أبعد قليلاً حتى وجدت اللصوص الذين سرقوه ، وبعد ان تأملت وجوههم رأيت على وجناتهم دموعاً لم تذرفها عيونهم بعد .

ثم سمعت خرير هذين الجدولين في اعماقي انا أيضاً ، فامتلأت بهجة - عندما زرت يسوع ، قبل ان قبض عليه بيلاطس البنطي والشيوخ بيوم واحد ، تكلمنا ملياً ، وسألته أسئلة كثيرة ، وقد

اجاب على جميع مسائلي بكمال المسرة . وعندما تركته عرفت انه هو الرب والسيد لهذه الأرض التي نعيش فيها .

قد سقطت الأرزة منذ عهد طويل ، ولكن عطرها سيقيم ابداً ، وسينشد زوايا الارض الاربع الى الابد .

جاورجيوس البيروتي

في الغرباء

كان يسوع مع اصدقائه في حرج الصنوبر وراء سياجي ، وكان يخاطبهم .

فوقفت قريباً من السياج اتسمع على كلامه . فقد عرفته من هو ، لان شهرته وصلت الى هذه الشواطىء قبل ان زارها هو .

وعندما فرغ من كلامه تقدمت اليه وقلت له: هلمّ يا سيدي مع هؤلاء الرجال وشرّف منزلي بزيارتك .

فنظر اليّ مبتسماً وقال : ليس في هذا اليوم ، يا صاحِ ، ليس في هذا اليوم .

وكان في كلماته بركة ، وشعرت بأنّ صوته يضمني كالرداء الصوفيّ في ليلة باردة .

ثم التفت نحو اصدقائه وقال: انظروا رجلًا لا يحسبنا غرباء، ومع انه لم ينظرنا قبل اليوم فهو يدعونا الى بيته .

بالحقيقة انه لا يوجد غرباء في ملكوتي . ان حياتنا هي حياة جميع الناس ، وقد اعطيناها لنعرف جميع الناس ، وبتلك المعرفة نحبهم .

ان اعمال جميع الناس هي اعمالنا بعينها الخفية والظاهرة .
استحلفكم الا تكونوا ذاتاً واحدة، بل ذوات عديدة — مالك البيت ومن لا بيت له ، الزارع والزرزور الذي يلتقط الحبوب قبل ان تنام في الأرض، المعطي الذي يعطي بشكر والمستعطي الذي يأخذ بكبرياء ومعرفة .

ان جمال النهار لا يقتصر على ما ترونه انتم ، بل يشمل ما يراه غيركم ايضاً .

لأجل هذا قد اخترتكم من بين الكثيرين الذين اختاروني.
ثم نظر الي وتبسم ثانية وقال: انني اقول كل هذا لك انت ايضاً ، وانت أيضاً ستذكر كلماتي .

ثم توسلت اليه قائلًا : يا سيدي أفلا تزورني في بيتي ؟
فأجاب : انني اعرف قلبك وقد زرت بيتك الاكبر .
وعندما مشى قليلًا مع تلاميذه قال : اسعد الله مساءك وليكبر الله بيتك حتى يؤوي جميع الهائمين في هذه الأرض .

مريم المجدلية

كان فمه كقلب الرمانة

كان فمه كقلب الرمانة ، وكانت ظلال عينيه عميقة .

كان لطيفاً كالرجل الذي يعرف قوّته .

قد رأيت في أحلامي ملوك الأرض واقفين احتراماً في حضرته .

انني أود أن أتكلم عن وجهه، ولكن كيف استطيع ذلك؟

فقد كان كالليلة التي لا ظلمة فيها ، وكالنهار الذي لا يعرف ضجيج النهار .

كان وجهاً كئيباً ، ولكنه كان ممتلئاً فرحاً .

انني اتذكر جيداً كيف رفع يده مرة نحو السماء ، فبدت اصابعه المتفرقة كأغصان الدردار .

واذكره جيداً وهو يقيس الماء بخطواته، انه لم يكن يمشي. فهو نفسه كان طريقاً فوق الطريق ، كما ان السحابة التي فوق الارض تنحدر لتنعش الأرض .

بيد انني عندما وقفت امامه وخاطبته كان رجلاً ، وكان

وجهه يملأ عين الناظر اليه قوة . وقد قال لي : مـاذا تريدين يا ميرِ يام ?

انني لم اجاوبه ، ولكن اجنحتي احتضنت سري ، فسرت الحرارة في جسدي .

واذ لم أقـدر على احـتمال نوره تركته وسرت في طريقي ، ولكن عاري فارقني . .ولم يبقَ لي سوى الحياة فقط ، والرغبة في ان اكون وحدي لتضرب اصابعه على اوتار قلبي .

يوثام الناصري الى احد الرومانيين

في الحياة والوجود

انت يا صديقي كجميع الرومانيين ، تود ان تتصور الحياة اكثر من ان تحياها . وتفضل ان تحكم الأرض ولا تكون محكوماً من الروح .

انت تفضل ان تقهر الشعوب فيلعنك أبناؤهم ، على ان تبقى في زومة مباركاً سعيداً .

انت لا تفكر الا في الجيوش الزاحفة والسفن الماخرة في البحر .

اذن كيف تستطيع ان تفهم يسوع الناصري ، الرجل البسيط الوحيد الذي جاء بغير الجيوش والسفن ، ليؤلف مملكة في القلب وامبراطورية في حرية فضاء النفس ؟

كيف تقدر ان تفهم هذا الرجل الذي لم يكن محارباً ولكنه جاء بقوة الأثير القدير ؟

فهو لم يكن إلهاً ، بل كان انساناً مثلنا ، ولكن فيه نهض مرُّ الأرض ليلاقي لبان السماء ، وفي كلماته تعانقت تمتمتنا مع

همس غير المنظور، وفي صوته سمعنا انشودة لا يسبر غورها .

نعم ، كان يسوع انساناً ولم يكن إلهاً ، وفي هذا منتهى عجبنا ودهشنا .

ولكن انتم الرومانيين لا تتعجبون الا امام الآلهة ، وما من رجل يدهشكم ، لاجل ذلك لا تفهمون الناصريّ .

فقد اختص هو بشباب الفكر ، اما انتم فقد اختصصتم بشيخوخته .

انتم تحكموننا اليوم ، ولكن فلننظر يوماً آخر .

من يدري اذا كان هذا الرجل الذي لا جيوش ولا سفن لديه سيحكم الغد ؟

نحن الذين نتبع الروح ستنسكب اعراقنا دماء في سفرنا وراءه، ولكن رومة ستضطجع كالهيكل العظمي في الشمس .

نحن سنتألم كثيراً ، ولكننا سنصبر ، وسنعيش ، ولكن رومة يجب ان تصير الى التراب .

ولكن اذا كانت رومة ، بعد أن توضع من رفعتها وتصير الى ضعتها، تتلفظ باسمه ، فانه يصغي الى صوتها وينفخ في عظامها نسمة حياة جديدة لتنهض ثانية مدينة حية بين مدن الأرض .

كل هذا سيفعله بغير جيوش ولا عبيد يجذفون في قواربه، لانه سيكون وحيداً .

افرايم من اريحا

وليمة العرس الثاني

عندما جاء ثانية الى اريحا ذهبت اليه وقلت له : يا معلم ، غداً يتخذ ابني لنفسه زوجة . فأرجو من فضلك ان تحضر الى وليمة العرس وتشرفنا بحضورك ، كما شرفت العرس في قانا الجليل .

فأجاب وقال : بالحقيقة انني كنت ضيفاً في وليمة عرس مرة ولكنني لن اكون ضيفاً ثانية ، فأنا نفسي اليوم عروس .

فقلت له : اتوسل اليك يا معلم ان تأتي الى وليمة عرس ابني .

فتبسم كأنه يريد ان يوبخني ، وقال : لماذا تتوسل الي؟ الا يوجد عندك كفاية من الخمر ؟

فقلت له : ان زقاق الخمر ممتلئة يا معلم ، بيد انني اتضرع اليك ان تحضر الى وليمة عرس ابني .

حينئذ قال لي : من يدري ؟ فقد احضر . نعم فقد احضر اذا كان قلبك مذبحاً في هيكلك .

وفي الغد تزوج ابني ، ولكن يسوع لم يأتِ الى وليمة العرس .

ومع انه جاءنا ضيوف كثيرون فقد شعرت بأنه لم يأتِ احد .

بالحقيقة انني انا نفسي الذي استقبل الضيوف لم اكن هناك .
ومن يدري ؟ فلعل قلبي لم يكن مذبحاً عندما دعوته . وقد اكون رغبت في اعجوبة ثانية .

برقا التاجر الصوري

في البيع والشراء

في عقيدتي انه لا اليهود ولا الرومانيون فهموا يسوع، حتى ولا تلاميذه انفسهم الذين يبشرون اليوم باسمه .

فالرومانيون قتلوه، وهذه كانت زلة لهم . والجليليون احبوا ان يصنعوا منه إلهاً ، وهذه كانت غلطة لهم .

كان يسوع من قلب الانسان .

قد قطعت البحار السبعة بمراكبي ، وتعاملت مع الملوك والأمراء والمحتالين والخداعين في ساحات المدن القصية، ولكنني لم أرَ رجلاً يفهم التجار كما فهمهم يسوع .

سمعته مرة يضرب هذا المثل قال :

سافر احد التجار من بلاده الى بلاد غريبة . وكان له خادمان فأعطى كلاً منهما قبضة من الذهب وقال لهما : كما انني امضي الى بلاد الغربة وراء الربح هكذا يجدر بكما ان تطلبا الربح من اموالكما . فاعتصما بالدقة في معاملة الناس أخذاً وعطاء .

وبعد سنة رجع التاجر ، فسأل خادميه عما فعلاه بذهبه ،

فقال له الخادم الاول : تأمل يا سيدي ، فقد بعت واشتريت وربحت . فأجابه التاجر قائلاً : الربح هو لك ، لانك تصرفت حسناً وكنت اميناً لي ولنفسك .

ثم وقف الخادم الثاني وقال له : يا سيدي قد خفت ان اخسر اموالك ولذلك لم اشترِ ولم ابع . وهوذا مالك كله في هذا الكيس . فاخذ التاجر ذهبه وقال له : يا قليل الايمان، انك لو تاجرت وخسرت لكان ذلك خيراً لك من ان تكون كسولاً ، لانه كما ان الريح تفرق البذور وتنتظر الاثمار هكذا يجب ان يفعل كل التجار . لذلك كان الاجدر بك ان تخدم الآخرين .

وعندما تكلم يسوع بهذا ، فانه وان لم يكن تاجراً ، فقد كشف القناع عن سر التجارة . *

وفوق هذا ، فان أمثاله كثيراً ما كانت تحمل الى فكري بلداناً ابعد من اسفاري ، ولكنها اقرب من بيتي ومقتنياتي .

ولكن الناصري الشاب لم يكن إلهاً ، ويؤلمني ان ارى اتباعه يسعون ان يعملوا من هذا الحكيم إلهاً !

فومية

رئيسة كاهنات صيدا

الى رفيقاتها الكاهنات

احملن أعوادكن لأغني .

اضربن على الاوتار الفضية والذهبية ، فاني اريد ان أترنم بذكرى الرجل الشجاع الذي قتل وحش الوادي ثم جلس ينظر الى ما قتل بعين الشفقة .

احملن أعوادكنّ لنغني معاً للسنديانة الرفيعة على الاعاليّ .

لنترنم بذكرى الرجل الذي يلمس قلبه السماء وتحيط يده بالاوقيانوس .

الذي قبّل شفتي الموت الشاحبتين ، ولكنه يرتجف الآن امام فم الحياة .

احملن اعوادكن لنغني معاً للصياد الجريء على التلة ، الذي اهتدى الى الحيوان، واطلق سهمه غير المنظور ، فاسقط القرن والناب الى الارض .

احملن اعوادكن لنغني معاً للشاب الباسل الذي غلب مدن الجبال ، ومدن السهول المتجمعة كالافاعي في الرمال . فهو لم

يحارب ضد الاقزام بل ضد الآلهة الجائعة للحمنا والمتعطشة لدمنا .

وكالصقر الذهبي الاول لم يزاحم غير النسور ، لان اجنحته كانت كبيرة وفخورة ، فلم تشأ ان تضرب من هو اضعف منها جناحاً .

احملن أعوادكن لنغني معاً اغنية البحر والجرف .

فالآلهة قد ماتوا ، وهم مضطجعون بهدوء في الجزيرة المنسية في البحر المهجور . اما الذي قتلهم فانه جالس على عرشه . قد كان في شرخ شبابه ، لان الربيع لم يكن قد اعطاه لحية، وكان صيفه فتياً في حقله .

احملن اعوادكن لنغني معاً للعاصفة في الغابة ، التي تحطم الغصن اليابس والفرع العاري من الورق ، بيد انها ترسل الجذر الحيّ ليمعن في امتصاص حليبه من ثدي الارض .

احملن اعوادكن لنترنم معاً بانشودة حبيبتنا الخالدة .

مهلاً يا رفيقاتي ، ولا تضربن على أوتاركن .

اتركن اعوادكن ، فنحن لا نقدر ان نغني الآن .

لان الهمس الضعيف الذي تبعثه الحاننا لا يقدر ان يصل الى عاصفة ، ولا قوة له على اختراق عظمة صمته .

اتركن اعوادكن وتجمعن حوالي لأعيد اقواله على مسامعكن واخبركن بأعماله ، لان صدى صوته هو أعمق من محبتنا .

بنيامين الكاتب

دع الأموات يدفنون موتاهم

يقولون ان يسوع كان عدواً لرومة ولليهودية .

اما انا فأقول ان يسوع لم يكن عدواً لانسان ولا لجنس من الناس .

فقد سمعته يقول ان طيور الجو وقنن الجبال لا تهتم بالافاعي في اجحارها وانفاقها .

دع الموتى يدفنون موتاهم ، والبس اثواب ذاتك بين الاحياء، وحلق رفيعاً .

لم اكن من تلاميذه ، ولكنني تبعته مع الجماهير الكثيرة التي تبعته للتأمل بوجهه .

وكان ينظر الى رومة والينا نحن عبيد رومة ، كما ينظر الاب الى أولاده اللاعبين بلعبهم وهم يتخاصمون فيما بينهم على اللعبة الكبيرة . وكان يضحك من اعاليه .

اجل ، كان يسوع اعظم من الولاية والامة، بل كان اعظم من الثورة .

كان وحيداً منفرداً ، وكان يقظةً كاملة .

وقد بكى كل ما لم نسكبه من الدموع، وتبسّم كل ثورتنا وتمردنا .

ونحن قد عرفنا انه كان في طوقه ان يولد مع جميع غير المولودين بعدُ ، فيساعدهم على ان يروا ، ليس بعيونهم ، بل ببصيرته .

كان يسوع بداءة لمملكة جديدة على الارض ، ولن يكن لتلك المملكة انتهاء .

فقد كان ابناً وحفيداً لجميع الملوك الذين بنوا مملكة الروح.
ولم يحكم عالمنا احدٌ قط الا ملوك الروح .

زكا

في مصير يسوع

انتم تؤمنون بما تسمعونه يقال امامكم ، فآمنوا بالاحرى بما لا يقال ، لأن صمت الناس اقرب الى الحقيقة من اقوالهم .

وتسألون اذا كان يسوع قادراً ان يتخلص من عار موته وينقذ اتباعه من الاضطهاد .

وانا اجيب انه بالحقيقة كان قادراً ان يتخلص من الموت لو اراد ، بيد انه لم يطلب السلامة ، ولم يهمه ان يحمي قطيعه من ذئاب الليل .

فقد عرف قسمته ، وعرف ما يحمله الغد لمحبيه المخلصين ، ولذلك سبق فأنبأ بما سيصيب كل واحد منا . انه لم ينشد موته ولكنه قَبِلَ الموت ، كما ان الفلاح الذي يواري حنطته في قلب الأرض يقبل الشتاء ، ثم ينتظر الربيع والحصاد ، وكما يضع البنّاء اكبر الحجارة في الاساس .

ان جماعته قد تألفت من رجال من الجليل ومن منحدرات لبنان . وكان في منال معلمنا ان يرجع بنا الى بلادنا فنعيش مع شبابه في بساتيننا حتى تأتي الشيخوخة فتردنا الى قلب السنين .

هل قام في طريقه حاجز يرده الى هياكل ضياعنا حيث كان الناس يقرأون الانبياء ويحسرون القناع عن قلوبهم ؟

ألم يقدر ان يقول : ها انا ماضٍ الى الشرق مع الريح الغربية ، وبقوله هذا يصرفنا بابتسامة على شفتيه ؟

نعم كان قادراً ان يقول لنا : ارجعوا الى اهلكم لان العالم غير مستعد لاستقبالي . ولذلك سأرجع بعد الف سنة . فعلّموا اولادكم ان ينتظروا عودتي .

فقد كان قادراً على كل هذا لو اراده .

ولكنه عرف انه لكي يبني الهيكل غير المنظور يجب عليه ان يضع نفسه حجر زاوية في اساسه ، ويضعنا حواليه حصى صغيرة تلتصق به لقوام البناء .

وعرف أيضاً ان عصارة شجرته الممتدة اغصانها في السماء لا تأتي الا من جذورها ، ولذلك سكب دمه على جذورها ، ولم يحسب ذلك ضحية بل ربحاً .

الموت يكشف الأسرار ، وقد كشف موت يسوع سرّ حياته .

فلو انه هرب منكم وانتم اعداؤه لكنتم غلبتم العالم. ولذلك لم يهرب .

لانه ما من رجل يربح الكل الا اذا اعطى الكل .

نعم ، نعم كان في مقـدرة يسوع ان يهـرب ويعيش الى شيخوخـة كامـلة . ولكنه عرف مرور الفصول ، ورغب في ترنيم انشودة نفسه .

اي رجل يجابه عالماً متسلحاً ولا يفضل ان ينغلب لحظة لكي يسود على جميع الأجيال ؟

والان اتريـدون ان تعرفوا مـن قتل يسوع بالحقيقـة ، الرومانيون ام كهنة اورشليم ؟

فاعلموا انه لا الرومانيون قتـلوه ، ولا الكهنة ، ولكن العالم باسره وقف على تلك التلة ليعطيه حقه من الاحترام .

يوناثان

بين زنابق المياه

كنت مع حبيبتي نجذف في احد الايام في بحيرة من الماء العذب ، وكانت تلال لبنان تحيط بنا .

وكنا نمرّ بالصفصاف الباكي ، وكنا نتمتع بظلاله الجميلة المرتسمة حوالينا .

وفيما انا اجذف سائراً بالقارب في المياه ، اخذت حبيبتي قيثارتها وشرعت تغني هكذا :

اي زهر غير عرائس النيل يعرف المياه والشمس ؟
واي قلب غير قلبها سيعرف الارض والسماء ؟

تأمل يا حبيبي هذه الزهرة الذهبية العائمة بين العلو والعمق كما نسبح انت وانا بين المحبة التي كانت منذ الازل وستظل الى منتهى الدهور .

حرك مجذافك يا حبيبي لأضرب على اوتار قيثارتي . لنتبع الصفصاف ولا نهمل زنابق المياه .

في الناصرة شاعر قلبه كقلب عرائس النيل . وقد زار هذا

الشَاعر نفس المرأة ، وهو يعرف عطشها المتفجر من المياه ، ويعرف مجاعتها للشمس في حين ان كل شفاهها شبعانة .

يقولون انه يعيش في الجليل .

اما انا فأقول انه يجذف معنا .

افلا تقدر ان تنظر وجهه يا حبيبي ؟

افلا تستطيع ان ترى انه حيث ينحني الصفصاف وتجتمع ظلاله في المياه فهناك يتحرك هذا الشاعر كما نتحرك نحن ؟

جميل ان نعرف شباب الحياة ايها الحبيب .

جميل ان نعرف افراحه المترعة .

اودُّ لو ان مجاذيفك تظل ابداً في يدك ، وانا تظل لي قيثارتي ذات الأوتار ، حيث تضحك عرائس النيل في الشمس ويغتسل الصفصاف في المياه ، ويرافق صوته حركات اوتاري.

حرك مجذافك يا حبيبي لأضرب على اوتار قيثارتي .

ففي الناصرة شاعر يعرفنا ويحبنا معاً .

حرك مجذافك يا حبيبي لأضرب على اوتار قيثارتي .

حنة من بيت صيدا سنة ٧٣

عمتي في صباها

قد تركتنا عمتي في صباها لتعيش في كوخ قريب من كرم قديم لوالدها .

وكانت تعيش وحدها ، وكان ابناء المزارع المجاورة يأتون اليها في امراضهم ، وكانت تشفيهم بالاعشاب الخضراء ، وبالجذور والأزهار اليابسة في الشمس .

وكانوا يحسبونها نبية ، ولكن فريقاً من الناس دعوها عرّافة ومشعوذة .

وفي احد الايام قال لي والدي: خذي هذه الأرغفة من خبز الحنطة الى اختي ، وهذه الجرة من الخمر والسلة من الزبيب .

فوضعت كل هذا على ظهر حمار ، وسرت في طريقي حتى بلغت الكرم ، ووصلت الى كوخ عمتي ، ففرحت برؤيتي جداً.

فيما نحن جلوس في فيء النهار مرّ بنا رجل على الطريق ، وحيّا عمتي قائلاً : نعمت مساء ، ولتحلّ عليك بركة الليل .

فنهضت للحال ووقفت امامه اجلالاً واحتراماً وقالت :

ونعمتَ مساء يا سيد جميع الارواح الصالحة وغـــالب جميع الأرواح الشريرة .

فنظر اليها الرجل بعينين تذوبان رقةً وسار في طريقه .

اما انا فضحكت في قلبي ، لاني ظننت ان عمتي مجنونـة . ولكنني اعرف اليوم انهـا لم تكن مجنونة ، لانـني انا هي التي لم تفهم .

وقد علمت بضحكي ، مع انه كان مخفياً في قلبي .

ولذلك قالت لي بغـير غضب : اسمعي يا بنيتي ، واصغي وتذكري كلامي ، ان هذا الرجل الذي مرّ بنا الآن ، كخيال الطير الطائر بـين الشمس والأرض ، سيتغلب عـلى القياصرة وامبراطورية القياصرة. وسيبارز الثور المجنّح في بلاد الكلدان والسبع ذا الرأس البشري في مصر ، وسيقهرهمـا ، وسيحـكم العالم بأسره .

ولكن هذه الأرض التي يمشي عليها الآن ستصير الى لا شيء، واورشليم الجالسة بغطرسة على تلتها ستطرد مخزية في الدخان امام ريح الخراب .

وعندما تلفظت بهـذه الكلمات تحول ضحـكي الى هـدوء وسكون فقلت لها : ومن هو هذا الرجل ، ومن اي بلاد واية قبيلة جاء ! وكيف سيغلب الملوك العظماء ، وممالـك الملوك العظماء !

فأجابت : قد ولد في هذه البلاد ، ولكننا رأيناه بأحلام حنيننا منذ بداءة السنين ، وهو من جميع القبائل ، ولذا فانه لا يختص بواحدة منها . وسيغلب بكلمة فمه ولهيب روحه .

ثم نهضت فجأة ووقفت كالصخرة الراسخة وقالت: فليسامحني ملاك الرب على التلفظ بهذه الكلمة أيضاً : وسيُقتل ، ويدرج شبابه بالاكفان، ويضجع بصمت الى جانب قلب الارض الصامت، وستنوح عليه بنات اليهودية .

ثم رفعت يديها نحو السماء وتكلمت ثانية وقالت : ولكنه سيُقتل بالجسد فقط .

وسينهض بالروح ويخرج بجيوشه من هذه الارض التي تولد فيها الشمس الى الارض التي تُقتل فيها الشمس عند المساء .

وسيكون اسمه مقدماً بين جميع الأمم .

كانت عمتي نبية طاعنة في السن عندما قالت هذه الأقوال، اما انا فكنت فتاة صغيرة ، حقلاً لم يفلح بعد، وحجراً لم يوضع بعد في حائط .

بيد ان كل ما نظرته في مرآة فكرها قد حدث امام عيني .

قد نهض يسوع الناصري من الموت ، وقاد رجالاً ونساءً الى بلاد غروب الشمس . والمدينة التي اسلمته للمحاكمة صارت الى الخراب . وفي قاعة المحاكمة ، حيث جرت محاكمته وحكم

عليه بالموت ، ينعق البوم بمراثيه ، والليل يـذرف نـدى قلبه دموعاً على الرخام المتحطم .

وانا اليوم شيخة حنت السنون ظهرها . وقد مات اهـلي وصارت امتي الى الفناء .

وقد رأيته مرة واحدة بعد ذلـك اليوم ، وسمعت صوتـه ثانية ، وكان ذلك على رأس تلة عندما كان يخاطب اصدقـاءه واتباعه .

وعلى رغم شيخوختي الحاضرة ووحدتي المريرة فهو يزورني في احلامي .

فهو يأتي كملاك ابيض ذي جناحين، فيخرس بنعمته رعب ظلمتي ، ويرفعني الى عالم رفيع من الاحلام العلوية .

انني ما زلت حقلة غير مفلوحة ، وثمرة ناضجة لم تسقط عن امها . واعظم ما املكه في هـذا العـالم هو حـرارة الشمس وذكرى ذلك الرجل .

وانا اعرف انه لن يقوم في امتي ملك ولا نبي ولا كاهن كما انبأت عمتي من قبل .

لاننا سنسير من الوجود مع مجاري الانهار ولن يعرف اسمنا .

ولكن الذين عبروا مياهه في وسط مجاريها ستظل ذكراهم في العالم ، لأنهم عبروا مياهه في وسط مجاريها .

منسى المحامي الاورشليمي

خطاب يسوع وحركاته

نعم ، قد سمعته غير مرة متكلماً . فقد كان الكلام حاضراً على شفتيه في كل وقت .

وقد اعجبت به كرجل وليس كزعيم، لان مواعظه كانت تفوق ذوقي ، او لعلها كانت تفوق افكاري ، لانني لا احب ان يعظني احد .

والذي سحرني فيه هو صوته واشاراته وليس مادة خطابه . نعم قد سحرني ولكنه لم يقنعني ، لانه كان كثير الابهام ، بعيد الخيال ، وافر التلبس ، ولذلك لم يصل الى فكري .

قد عرفت كثيرين من امثاله ، ولكنهم لم يكونوا مثابرين على اعمالهم ثابتين في جهادهم نظيره. فقد سحرت فصاحتهم آذان الناس وافكارهم الظاهرة، ولكنهم لم يبلغوا الى هياكل القلوب .

ومن الأسف ان نرى اعداءه يحيطون به ويبالغون في اضطهاده حتى الموت ، لان موته لم يكن ضرورياً . فالعداء الذي اظهره له الناس سيضيف الى عزمه عزماً ، وسيحوّل لطفه الى قوة قاهرة .

افليس بالغريب انك بمقاومتك لأي انسان تمنحه شجاعة لم تكن له قبل مقاومتك، وانك بتتبعك لخطواته تسلحه بالاجنحة؟

انني لا اعرف اعداءه ، ولكنني واثق انهم بخوفهم من رجل لا يعرف الأذية قد اعاروه قوة وجعلوا حياته خطراً عليهم جميعاً .

يفتاح من قيصرية

رجل يكره ذكر يسوع

ان هذا الرجل الذي يملأ ذكره ايامكم ، ويلزم ظله لياليكم، هو العلقم في فمي . ومع ذلك فأنتم تخدشون أذنيّ بأقواله ، وتزعجون افكاري باعماله .

قد سئمت سماع اقواله وكل ما فعل ، حتى ان مجرد ذكر اسمه يزعجني ، ومثله اسم بلاده . انني لا اريد ان اسمع شيئاً يختص به .

لماذا تصنعون نبياً من رجل لم يكن سوى خيال ? لماذا ترون برجاً من تلة الرمل هذه ، وتتصورون بحيرة من نقط المطر المتجمعة في الحفرة الصغيرة الناشئة عن نعل الفرس ?

انني لا احتقر الصدى الذي ترجعه كهوف الاودية ، ولا الظلال الطويلة التي يرسمها غروب الشمس ، ولكنني لا اريد ان اصغي الى الاخاديع المترددة في رؤوسكم ، ولا ارغب في درس تأثيراتها في عيونكم .

اية كلمة قالها يسوع ولم يقل مثلها هلال؟ واية حكمة اعلنها ولم يعلنها غملائيل ? وما هي نسبة تمتمته لصوت فيلو؟ وما هي

الصنوج التي ضرب عليها ولم يضرب عليها قبل ميلاده ؟

اني اصغي الى الصدى الذي ترجعه الكهوف الى الاودية الصامتة ، واتأمل الظلال الطويلة التي ترسمها شمس الغروب على الارض ، ولكنني لا اطيق ان ارى قلب هذا الرجل يرفع صدى قلب آخر ، ولا اقبل ان اسمع خيال العرافين يسمي نفسه نبياً .

من يقدر على الكلام بعد اشعيا ؟ ومن يجسر على الانشاد بعد داود ؟ وهل تولد الحكمة اليوم بعد ان انضم سليمان الى آبائه ؟ وماذا نقول في انبيائنا الذين كانت السنتهم سيوفاً وشفاههم ألسنة لهيب ؟ هل تركوا سنبلة واحدة لهذا اللقّاط في الجليل ؟ او ثمرة ساقطة لهذا المتسول القادم من الشمال؟ انه لم يجد لنفسه عملاً سوى كسر الخبز الذي خبزه اسلافنا قبله ، وسكب الخمرة التي عصرتها اقدامهم المقدسة من عنب القدماء .

انني احترم يد الخزّاف دون الرجل الذي يشتري الخزف . انني اكرم الجالسين امام النول دون الكسالى الذين يلبسون الاثواب .

فمن كان يسوع الناصري هذا ؟ ومن هو ؟ انه رجل لم يجرؤ ان يعيش بافكاره ولذلك صار الى العدم الذي هو نهايته .

فالمرجو من فضلكم ألاّ تخدشوا مسامعي بما قال وما فعل . ان قلبي ممتلىء بوحي الانبياء القدماء ، وهذا يكفيني .

يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته

يسوع الكلمة

ترغبون اليّ ان اتكلم عن يسوع ، ولكن كيف اخدع انشودة الوجد الالهي في الوجود بهذه القصبة المجوّفة ؟

ففي كل مظهر من مظاهر النهار كان يسوع يرى الاب ماثلاً امامه . فقد رآه في السحب ، وفي ظلال الغيوم المارة فوق الارض، ورأى وجه الاب منعكساً على البرك الهادئة،وآثار وقع قدميه مرتسمة على الرمال ، وكثيراً ما كان يغمض عينيه ليتأمل العينين المقدستين .

وكان الليل يخاطبه بصوت الاب ، وفي الوحدة كان يسمع ملائكة الرب تناديه . وعندما كان يطلب الراحة في النوم كان يسمع همس السموات في احلامه .

وكان في الغالب سعيداً في صحبتنا ، وكان يدعونا اخوة .

فتأملوا كيف ان الكلمة الاولى عند الاب يدعونا اخوة وما نحن الا مقاطع حقيرة لم يتلفظ بها الا في الامس القريب .

ولعلكم تسألون : لماذا سميته الكلمة الاولى ؟

فاصغوا لاجيبكم: في البدء تحرك الله في الفضاء، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الارض وفصولها .

ثم تحرك الله ثانية ، فانبثت الحياة ، فصار حنين الحياة ينشد العلو والعمق ، ليكون له الاكثر فالاكثر من ذاته .

ثم تكلم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودة من روح الله .

وعندما تكلم الله هكذا كان المسيح كلمته الاولى، وكانت تلك الكلمة كاملة. وعندماء جاء يسوع الناصري الى العالم سمع العالم به الكلمة الاولى الخارجة من فم الله ، وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً .

ان يسوع الممسوح هو الكلمة الاولى التي خاطب بها الله العالم كما لو ان شجرة من التفاح في بستان تزهر وتعقد قبل بقية الازهار بيوم واحد ، وكان في بستان الله في ذلك اليوم عصر كامل .

نحن جميعاً ابناء العلي وبناته ، ولكن الممسوح كان ابنه البكر ، الذي قطن في جسد يسوع الناصري ، وسار بيننا ورأيناه بعيوننا .

كل هذا اقوله لكم لكي تفهموا ليس فقط بالفكر بل بالروح.

ان الفكر يزن ويقيس ، ولكن الروح تصل الى قلب الحيـاة وتعانق اسرارها ، وبزرة الروح لا ولن تموت .

ان الريح قد تهب ثم ينقطع هبوبها ، والبحر يتمدد ثم يتقلص ، ولكن قلب الحياة دائرة هادئة ساكنة والكواكب التي تنيرها ثابتة الى الابد .

مانوس من بومبي الى يوناني

في آلهة الساميين

ان اليهود كجيرانهم الفينيقيين والعرب لا يأذنون لآلهتهم ان تستريح هنيهة على متون الرياح .

فهم كثيرو الاهتمام بآلهتهم ، وكثيرو الملاحظة بعضهم على بعض في شأن الصلاة والعبادة والتضحية .

فيما نكون نحن الرومانيين نبني هياكل الرخام البديعة لآلهتنا ترى هؤلاء الشعوب يتجادلون في طبيعة إلههم . نحن في ساعات وجدنا بآلهتنا نغني ونرقص حول مذابح المشتري ونبتون والمريخ والزهرة ، اما هم ففي ساعة وجدهم يلبسون المسوح ويغطون رؤوسهم بالرماد، وكثيرون منهم يبكون ويندبون اليوم الذي ولدوا فيه .

اما يسوع، الرجل الذي اعلن الله للناس كائناً يعشق المسرة والفرح ، فقد عذبوه وقتلوه .

ان هؤلاء الناس لا يريدون ان يسعدوا مع إله سعيد ، فهم لا يعرفون غير آلهة آلامهم .

واغرب من هذا ان كل اصدقاء يسوع وتلاميذه الذين

عرفوا فرحه وسمعوا ضحكه يضعون صورة لكآبته ويعبدون تلك الصورة .

وفي مثل هذه الصورة لا يرتفعون الى إلههم ، بل ينزلون إلههم الى مستوى انفسهم .

وعلى كل فأنا اعتقد ان الفيلسوف يسوع ، الذي لم يكن مختلفاً عن سقراط، ستكون له السلطة على امته، وربما على غيرها من الامم .

لأننا جميعاً مخلوقات كئيبة ولها شكوكها التافهة . فاذا قال لنا رجل : فلنفرح مع الآلهة ، فنحن لا نتردد في الخضوع لصوته. عجيب كيف ان كآبة هذا الرجل قد تحولت الى طقس.

ان هؤلاء الناس يريدون ان يهتدوا الى ادونيس آخر ، إله يُقتل في الغابة ، ليحتفلوا بقتله ، ويا للاسف كيف يعرضون عن ضحكه !

ولكن لنعترف ، كروماني الى يوناني : هل نصغي نحن انفسنا الى ضحك سقراط في شوارع اثينا ؟ وهل يقدر احد منا ان ينسى كأس الشوكران حتى ولو كنا في مسرح ديونيسيوس ؟

افلا يقف آباؤنا حتى اليوم على زوايا الشوارع ليتحادثوا عن همومهم ، ويتمتعوا بلحظة من السعادة بذكرى النهاية الكئيبة التي سار اليها جميع رجالنا العظماء ؟

بيلاطس البنطي

في الطقوس والخرافات الشرقية

قد حدثتني امرأتي عنه غير مرة قبل ان احضروه اليّ ولكنني لم اهتم للامر .

ان امرأتي كثيرة الاحلام، وهي، كالكثيرات من النساء الرومانيات في طبقتها ، قد استسلمت للطقوس والخرافات الشرقية .

ولكن هذه الطقوس كثيرة الخطر على الامبراطورية، وكلما وجدت مثل هذه الخرافات سبيلاً الى قلوب نسائنا تضاعفت الاخطار الناجمة عنها والتي قد تؤدي الى خرابنا .

ان مصر قد صارت الى الزوال عندما حمل اليها مهاجرو العرب الاله الواحد من صحرائهم . واليونان انقلبت وسقطت الى الحضيض عندما جاءت اليها عشتروت ووصيفاتها السبع من شواطىء سورية .

اما يسوع هذا فانني لم اره قبل ان اسلم اليّ كفاعل إثم، وعدوّ لامته ولرومة . فقد احضروه الى دار المحاكمة رابطين يديه الى جسده بحبل غليظ .

كنت جالساً في سرادقي ، فمشى اليّ بخطوات طويلة ثابتة ثم وقف منتصباً وظل رأسه مرتفعاً .

انني لا استطيع ان اتصوّر ما الذي نزل عليّ في تلك اللحظة ، ولكنني شعرت فجأة برغبة خفية ، مع انه لم يكن لها اثر في ارادتي، كانت تدفعني الى النهوض من سرادقي والسجود امامه .

نعم قد شعرت كما لو ان القيصر نفسه دخل داري ، لأن الواقف امامي كان اعظم من رومة نفسها .

ولكن هذا الشعور لم يقم في قلبي غير لحظة واحدة، وللحال رأيت امامي رجلاً بسيطاً تتهمه امته بالخيانة . وكنت انا حاكماً وقاضياً عليه .

فسألته عن امره فلم يجب ، ولكنه نظر اليّ ، وكان في نظرته كثير من الشفقة ، كأنما هو الحاكم والقاضي علي .

ثم تصاعد من الخارج صراخ الشعب . اما هو فظل صامتاً ينظر اليّ والشفقة ملء عينيه .

فخرجت ووقفت على درجات القصر ، وعندما رآني الشعب انقطع عن الصراخ . فقلت لهم : ماذا تريدون من هذا الرجل ؟ فصرخوا بصوت واحد : نريد ان نصلبه لانه عدونا، وعدو رومة .

وكان قوم منهم يقولون : ألم يقل انه ينقض الهيكل ؟ بل ألم يدَّعِ المملكة لنفسه ؟ اننا لا نريد ملكاً غير قيصر .

فتركتهم ورجعت الى دار المحاكمة ايضاً ، فرأيته لا يزال واقفاً هناك وحده ، وما برح رأسه مرتفعاً .

فتذكرت للحال ما كنت قد سبقت فقرأته لاحد فلاسفة الاغريق : ان الرجل المعتزل هو أقوى الرجال . ففي تلك الدقيقة كان الناصري اعظم من كل امته .

ولم أشعر برأفة عليه ، لأنه كان فوق رأفتي .

فسألته : هل أنت ملك اليهود ؟

ولكنه لم يقل كلمة .

فسألته ثانية : الم تقل انك ملك اليهود ؟

فنظر اليَّ . ثم اجابني بصوت هادىء : انت نفسك اعلنتني ملكاً . ولعلني لهذا ولدت ، ولهذا اتيت لاشهد للحق .

تأملوا رجلاً يتكلم عن الحق في مثل هذا الموقف .

ولكنني تجلدت وقلت بصوت مرتفع لنفسي وله : وما هو الحق وماذا ينتفع البريء من الحق ويد منفذ حكم القتل على عنقه ؟

حينئذ قال يسوع بقوة : ما من رجل يستطيع ان يحكم العالم الا بالروح والحق .

فسألته قائلاً : وهل انت من الروح ؟

فأجاب : وأنت ايضاً من الروح وان كنت لا تدري . وما هي الروح وما هو الحق ، في الوقت الذي كنت أنا ، من اجل سلامة البلاد ، وامته بغيرتها على طقوسها القديمة ، نسلم رجلاً بريئاً للموت ؟

ما من رجل ولا امة ولا مملكة تريد ان تتعرج امام الحق السائر في طريقه الى كمال ذاته .

فقلت له ثانية : هل أنت ملك اليهود ؟

فأجاب : انت نفسك قلت هذا . انني قد غلبت العالم قبل هذه الساعة .

وهذه هي العبارة الواحدة التي لم تكن في موضعها من جميع ما قاله ، لان رومة وحدها غلبت العالم .

ولكن أصوات الشعب تصاعدت ثانية ، وكان صراخهم يشق عنان الفضاء . فنزلت عن عرشي وقلت له : اتبعني .

وخرجت ووقفت ثانية على دوجات القصر ووقف هو الى جانبي .

وعندما رآه الشعب تعالى صراخهم كالرعد القاصف ، ولم اسمع من زعاقهم غير هذه الكلمات : اصلبه ، اصلبه !

فأسلمته الى الكهنة الذين اسلموه اليّ وقلت لهم : افعلوا

ما شئتم بهذا الصدّيق . واذا شئتم اصطحبوا جنوداً رومانيين لحراسته .

فأخذوه في الحال ، وامرت ان يكتب على الصليب فوق رأسه : « يسوع الناصري ملك اليهود . » وكان الاجدر بي ان أقول : « يسوع الناصري الملك . »

فعرّوا الرجل وجلدوه وصلبوه .

قد كان في طوقي ان اخلصه ، ولكن خلاصه كان قد اثار نيران الثورة في البلاد، والحكمة تقضي أبداً على الحاكم في ولاية رومانية ان يحتمل بالصبر جميع الوساوس الدينية في الامة المغلوبة .

وانا اعتقد حتى الساعة ان الرجل كان اعظم من ثائر مقلق، وما امرت به لم يكن بارادتي ، وانما فعلته من اجل مصلحة رومة .

وبعد ذلك بقليل من الزمن تركنا سورية ، ومن تلك الساعة صارت امرأتي كثيرة الكآبة . وكثيراً ما ارى في هذا البستان الجميل نفسه مأساة كئيبة مرتسمة على وجهها .

وقد اخبروني انها تتكلم كثيراً عن يسوع لنساء رومة .

فتأملوا كيف أن الرجل الذي امرت بموته يرجع من عالم الاشباح ويدخل الى بيتي .

وانا ما زلت اسأل في اعماق نفسي أيضاً وايضاً : ما هـو الحق وما هو غير الحق ؟

فهل يمكن ان السوري يتغلب علينا في هدوء ساعات الليل؟
ان هذا بالحقيقة لا يمكن ان يكون .
لأن رومة يجب ان تتغلب على اضغاث احلام نسائنا .

برثولماوس في افسس

في العبيد والمنبوذين

يقول اعداء يسوع انه وجّه دعوته للعبيد والمنبوذين ، وانه كان يثيرهم على اسيادهم. ويقولون انه، وهو ابن الطبقة الحقيرة، كان يستغيث بأبناء طبقته، بيد انه كان يسعى ليخفي حقيقة اصله .

ولكن فلنبحث في اتباع يسوع وفي زعامته .

ففي أول أمره اختار رفقاء له في عمله بضعة رجال من البلاد الشمالية ، وكانوا احراراً ، وكانت أجسادهم قوية وارواحهم جريئة، وفي العشرين سنة الماضية قد ادهشوا العالم بشجاعتهم في مجابهة الموت بارادتهم وعدم مبالاتهم .

فهل تعتقدون ان هؤلاء الرجال كانوا عبيداً او منبوذين ؟

وهل يخطر لكم ان امراء لبنان وارمينيا المفاخرين بحسبهم ونسبهم قد نسوا مقامهم عندما قبلوا يسوع كنبيّ الله ؟

ام هل تفكرون ان اشراف الرجال والنساء في انطاكية وبيزنطية واثينا وروما يمكن ان يستهويهم صوت زعيم من العبيد؟

الا ان الناصري لم يكن قط مع عبدٍ ضد سيده ، ولا مع سيد ضد عبده . انه لم يكن مع رجلٍ ضد رجل آخر .

فقد كان رجلاً اسمى من الناس . والجداول التي جرت في مجاري قوته كانت تترنم مع الألم ومع القوة في وقت واحد .

فاذا كانت النبالة في الحماية ، فان الناصري هو أنبل نبلاء العالم . واذا كانت الحرية في الفكر والقول والعمل ، فهو امير الاحرار في كل الأجيال . واذا كان شرف الاصل في الكبرياء التي لا تخضع الا معتزة للمحبة اللطيفة الرؤوف ، فهو اذن من جميع الناس اشرفهم اصلاً .

ولا تنسوا انه لا يفوز بالاكليل في السباق الا القوي والسريع ، وان يسوع قد توّجه اصدقاؤه ومحبوه ، كما توجه اعداؤه على غير علم منهم .

وهو حتى الساعة يقتبل اكاليل النصر من كاهنة أرتاميس في المواضع السرية من هيكلها .

متى

يسوع امام جدار سجن

في احد الامساء مرّ يسوع بسجن في برج داود . وكنا نمشي وراءه .

غير انه وقف فجأة ووضع وجنته على حجارة جدار السجن، وشرع يقول :

يا اخوة يومي القديم ، ان قلبي يخفق مع قلوبكم وراء الجدران . اود لو انكم تقدرون ان تتحرروا في حريتي وتمشوا معي ومع رفقائي .

انتم سجناء ، بيد انكم لستم وحدكم. فما اكثر السجناء الذين يمشون في الشوارع المفتوحة ! ومع ان اجنحتهم غير متكسرة فهم كالطاووس يرفرفون ولكنهم لا يطيرون .

يا اخوة يومي الثاني ، قريباً ازوركم في سجونكم واقدم كتفي لاحمالكم ، لان البريء والمجرم لا ينفصل احدهما عن الآخر ، وكعظمي الساعد لن ينفصلا .

يا اخوة هذا اليوم ، الذي هو يومي ، قد سبحتم ضد مجرى

افكارهم فقبضوا عليكم. وهم يقولون انني انا أيضاً اسبح ضد هذا المجرى. ومن يدري؟ فقد اسير اليكم قريباً، فأكون معكم كاسر الشريعة مع كاسري الشريعة.

يا إخوة يوم لم يأت بعد، ان هذه الجدران ستسقط، ومن هذه الحجارة ستصنع اشكال جديدة بيد ذاك الذي مطرقته النور، وازميله الريح، وستقفون احراراً في حرية يومي الجديد.

هكذا تكلم يسوع وسار في طريقه، وظلت يده على جدار السجن حتى ترك برج داود.

اندراوس

في المدنسين

ان مرارة الموت هي بالحقيقة اقل مرارة من الحياة بدونه . فقد صمتت الايام وسكنت عندما اخرس صوته . لم يبق سوى الصدى يرجع كلماته الى ذاكرتي ولكنه لا يرجع صوته الى اذني.

سمعته مرة يقول : اذهبوا في إبّان حنينكم الى الحقول ، واجلسوا الى جانب الزنابق، فتسمعوها تترنم في الشمس ، فهي لا تحوك ثياباً للابسكم ، ولا تصنع اخشاباً او حجارة لمنازلكم ، ولكنها تغني مترنمة .

ان الذي يشتغل في الليل يكمل حاجاتها وندى نعمته يبلل اوراقها .

وأنتم أيضاً افلا يعنى بكم ذلك الذي لا يتعب ولا يستريح ؟

وفي مرة اخرى سمعته يقول : طيور السماء قاطبة يحصيها ابوكم كما ان شعور رؤوسكم جميعها محصاة ، فلا يسقط طير عند قدمي الصياد، ولا تبيضُّ شعرة من رؤوسكم ولا تسقط في وهدة الشيخوخة بدون ارادته .

وقال ايضاً : قد سمعت تذمركم في قلوبكم قائلين: يجب ان يكون إلهنا اكثر رحمة معنا نحن أولاد ابراهيم من اولئك الذين لم يعرفوه منذ البدء .

اما انا فأقول لكم ان رب الكرم الذي يدعو فاعلاً عند الصباح ليشتغل في كرمه ، ويدعو فاعلاً آخر عند الغروب ، ثم يعطي الاجرة للاخير كما للاول ، ان مثل هذا الرجل مبرّر بالحقيقة في عمله . افلا يدفع من كيسه بكمال ارادته ؟

هكذا سيفتح ابي بوابة قصره لمن يقرع عليها من الامم ، كما يفتحها لمن يقرع عليها منكم ، لان اذنه تصغي الى النغم الجديد بنفس المحبة التي تشعر بها عند سماع الاغنية التي طالما سمعها ، وهو يرحب بالنغم الجديد ترحيباً خاصاً لانه اصغر وتر في قيثارة قلبه .

وفي مرة اخرى سمعته يقول : تذكروا هذا : اللص هو رجل محتاج ، والكذاب هو رجل خائف ، والصياد الذي يصطاده حارس ليلكم قد اصطاده ايضاً حارس ظلمة نفسه .

اريد ان تشفقوا على جميع هؤلاء .

فاذا قصدوا منازلكم فافتحوا لهم الابواب واجلسوهم الى موائدكم ، واذا لم تقبلوهم فإنكم لن تكونوا مبررين من اي عمل يعملونه .

وفي احد الايام تبعته الى ساحل المدينة في اورشليم كما تبعه كثيرون غيري ، فقص علينا مثل الابن الشاطر ، ومثل التاجر الذي باع كل ما كان له ليشتري درّة .

وفيما كان يخاطبنا احضر الفريسيون الى وسط الجمع امرأة كانوا يسمونها زانية ، فأحاطوا بيسوع وقالوا له : قد دنست نذور زواجها ، وامسكت بالفعل الشنيع .

فنظر اليها ووضع يده على جبينها وتأمل عينيها ملياً .

ثم التفت الى الرجال الذين احضروها اليه ، وأنعم نظره في وجوههم ، وانحنى ، وشرع يكتب باصبعه على الارض .

فكتب اسم كل رجل ، وكتب الى جانب كل اسم الخطيئة التي ارتكبها صاحب الاسم .

وفيما كان مكبّاً على الكتابة هربوا من حضرته يجرّون اذيال الفضيحة .

وقبل ان فرغ من كتابته لم يبقَ امامه احد الا نحن والمرأة.

فنظر الى عينيها ثانية وقال لها : انك قد احببتِ كثيراً ، اما الذين احضروك الى هنا فانهم احبوا قليلاً، ولكنهم حملوك اليّ كأحبولة لاحتيالي .

فانصرفي الآن بسلام .

لم يبق منهم احد ليدينك. فاذا رغبت في ان تكوني حكيمة كما انت محبة ، فاطلبيني ، فان ابن الانسان لا يدينك .

وقد عجبت آنئذ فيما اذا كان قال هذا لها، لانه هو نفسه لم يكن بلا خطيئة .

ولكنني منذ ذلك اليوم وانا اتأمل وادرس، وها انا اعرف الآن ان نقيّ القلب وحده يغفر للانسان عطشه الذي يقوده الى مياه آسنة .

والثابت الخطى وحده يستطيع ان يمد يـده لمن يعـثر في طريقه .

وايضاً وايضـاً اقول : ان مرارة الموت هي بالحقيقة اقـل مرارة من الحياة بدونه .

رجل غني

في المقتنيات

كان يسوع يتكلم بالسوء على الاغنياء . وقد سألته في احد الايام قائلاً : يا سيدي ، ماذا افعل لاحصل على سلامة الروح ؟

فأمرني ان اعطي اموالي للفقراء واتبعه .

فهو لم يملك شيئاً ، ولذلك لم يعرف ما في المقتنيات من التأمين على الحياة والحرية الشخصية ، والاحترام الداخلي والخارجي .

في بيتي مائة واربعون عبداً وخادماً ، فالبعض يشتغلون في غاباتي والبعض يسوقون مراكبي الى الجزائر البعيدة .

فلو انني سمعت منه واعطيت املاكي للفقراء فماذا كان يحل بعبيدي وخدامي وازواجهم واولادهم ؟ انهم ولا شك كانوا يصيرون متسولين نظيره على بوابة المدينة وفي رواق الهيكل .

نعم ان ذلك الرجل الصالح لم يسبر غور السر المحيط بالمقتنيات ، ولما كان هو واتباعه يعيشون على عطايا الآخرين فقد ظن ان جميع الناس يجب ان يعيشوا مثله .

واليكم هذا اللغز الذي يناقض ذاته : هل يجدر بالاغنياء ان يعطوا ثروتهم للفقراء الذين يجب ان يكون لهم كأس الغني ورغيفه قبل ان يرحبوا به على مائدتهم ؟

وهل يجدر بصاحب البرج ان يصير مضيفاً لزبائنه قبل ان يدعو نفسه سيد ارضه ؟

الا ان النملة التي تخزن طعاماً للشتاء هي احكم من الجنادب التي تترنم يوماً باناشيدها وتتألم يوماً من مجاعتها .

في السبت الماضي قال احد اتباعه في ساحة المدينة : على عتبة السماء حيث يضع يسوع حذاءه لا يستحق رجل غيره ان يضع رأسه .

ولكنني اسأل هذا : على عتبة اي بيت استطاع ذلك الهائم البسيط القلب ان يترك حذاءه ؟ فانه لم يكن له بيت ولا عتبة وفي اكثر الاحيان كان يمشي بغير حذاء .

يوحنا في بطمس

يسوع الرؤوف

اني اود ان اتكلم عنه مرة ثانية .

ومع ان الله قد حبس عني الكلام فقد اعطاني الصوت والشفتين المحترقتين .

وعلى رغم عدم استحقاقي للكلمة الكاملة فأنا ادعو قلبي الى شفتي .

قد احبني يسوع ، ولم اعلم لماذا احبني .

اما انا فقد احببته لانه رفع روحي الى اعالٍ فوق قامتي ، وانزلها الى اعماق لا قِبَلَ لي على سبر غورها .

المحبة سر مقدس .

والمحبون الحقيقيون لن يجدوا الفاظاً للتعبير عن محبتهم .

اما الذين لا يحبون فالمحبة في عقيدتهم سخرية قاسية .

قد دعاني يسوع كما دعا اخي ونحن نشتغل في الحقل .

وكنت آنئذ شاباً ولم تعرف اذني غير صوت الفجر .

ولكن صوته وضع حداً نهائياً لعملي وبداءة لعهد وجدي وافتتاني .

فلم يبقَ امامي بعد ذلك الا المشي في الشمس وعبادة جمال الساعة .

هل تستطيع ان تتصور جلالاً يحـول لطفه دون ظهوره ؟ او جمالاً يحول نوره دون رؤيته ؟

هل تقدر ان تسمع في احلامك صوتاً يستحي بمحبته ؟
فقد دعاني وانا تبعته .
وفي ذلك المساء رجعت الى بيت ابي لأحمل ثوبي الآخر .
وهنالـك قلت لأمي : ان يسوع النـاصري يرغب في ان يضمني الى جماعته .
فقالت : سر في طريقه يا بني كما سار اخوك .
فسرت في طريقه .
قد دعاني عبيره وامرني ، ولكن ليحررني فقط .
لان المحبة مضيفة جوّادة لضيوفها، ولكن بيتها سراب وهزء لغير المدعوّين .

*

ترغبون الي الآن ان اوضح لـكم عجائب يسوع .
فنحن جميعاً اشارة عجائبية للزمـان ، وربنا ومعلمنا هو المركز الرئيسي لذلك الزمان .

ولكنه لم يشأ ان يعرف احد باشارته .

فقد سمعته يقول للمفلوج : انهض واذهب الى بيتك ولكن احذر ان تقول للكاهن انني جعلتك صحيحاً .

ولم يكن فكر يسوع مع المقعدين ، بل كان بالاحرى مع الاقوياء والمنتصبين .

فقد طلب فكره غيره من الأفكار وامسك بها ، وزارت روحه الكاملة غيرها من الأرواح .

وبهذا العمل غيرت روحه تلك الافكار وتلك الارواح .

وقد بدا هذا العمل اعجوبة خارقة للناس . ولكنه كان في نظر ربنا ومعلمنا بسيطاً كتنفس الهواء في كل يوم .

*

والآن فلأتكلم عن امور اخرى .

كنت امشي معه في احد الأيام في حقل ، وكنا وحيدين جائعين فأتينا الى شجرة تفاح بري .

ولم يكن على اغصان الشجرة سوى تفاحتين فقط .

فمسك يسوع جذع الشجرة بيديه وهزها فسقطت التفاحتان.

فالتقطهما معاً واعطاني واحدة منهما ، وامسك التفاحة الاخرى بيده .

واذ كنت جائعاً جداً أكلت تفاحتي بسرعة شديدة .
ثم نظرت اليه فوجدت التفاحة ما برحت في يده .
فأعطاني اياها وقال لي : كل هذه ايضاً .
فأخذت التفاحة وفي قلة حياء مجاعتي اكلتها .
وفيما نحن نمشي نظرت الى وجهه .
ولكن كيف استطيع ان اخبركم بما رأيت ؟

رأيت ليلاً تحترق الشموع في فضائه ، وحلماً لا تصل اليه احلامنا ، ظهيرة يفرح فيها جميع الرعاة ويطربون لرؤية قطعانهم راعية امامهم ، مساءً هادئاً وسكوناً عجيباً وبيتاً تلجأ الروح اليه ، ونوماً هادئاً وحلماً لذيذاً .

كل هذا رأيته في وجهه .
فقد اعطاني التفاحتين ، وعرفت انه كان جائعاً مثلي .
ولكني اعرف اليوم انه باعطائهما لي قد شبع واكتفى . لانه هو نفسه أكل من اثمار اخرى لشجرة اخرى .

اود ان اخبركم اكثر من هذا عنه ، ولكن كيف استطيع ذلك ؟

فان المحبة متى اتسعت صعب التعبير عنها بالكلام .
والذاكرة اذا كثرت احمالها سارت تفتش عن الاعماق الصامتة .

بطرس

في الجار

قال ربي ومعلمي مرة في كفرناحوم :

ان جاركم هو ذاتكم الثانية تقطن وراء الجدار . وبالفهم تسقط جميع الجدران .

ومن يدري اذا لم يكن جاركم هو ذاتكم الفضلى لابسة جسداً آخر ؟ فانتبهوا ان تحبوه كما تحبون ذواتكم .

وهو أيضاً مظهر للعليّ القدير ، الذي لا تعرفونه .

ان جاركم هو حقل يسير فيه ربيع آمالكم بأثوابه الخضراء ويحلم فيه شتاؤكم بالاعالي المجللة بالثلج .

ان جاركم هو مرآة ترون فيها صورتكم وقد جملها فرح انتم أنفسكم لم تعلموا به ، وكآبة انتم انفسكم لم تشتركوا بها .

فأحبوا جاركم كما احببتكم انا .

فسألته قائلًا : كيف استطيع ان احب جاراً لا يحبني ، وهو يحسدني ويطمع في مالي ، بل كثيراً ما يسرق مقتنياتي ؟

فأجاب وقال : اذا كنت تفلح وكان خادمك يزرع البذار

وراءك، فهل تقف وتنظر الى الوراء لتطرد زرزوراً يلتقط بضع حبات من بذارك ليغذي بها جوعه ؟ فاذا فعلت هذا فأنت لا تستحق ثروة حصادك .

وعندما قال هذا خجلت من نفسي وجلست صامتاً. بيد انني لم اكن خائفاً لان ابتسامة يسوع لم تفارقه .

اسكاف في أورشليم

على الحياد

اني لم احبه ، ولكنني في الوقت نفسه لم ابغضه .

ولم اصغ اليه لاسمع أقواله ، بل بالاحرى لأسمع رنة صوته لان صوته كان يطربني .

وكل ما قاله كان مبهماً في فكري ، ولكن موسيقى صوته كانت صريحة في اذني .

بالحقيقة انني لولا ما سمعته من الناس عن تعاليمه لما كنت قادراً ان اميز ما اذا كان يسوع مع اليهودية او ضدها .

سوسان الناصرية جارة مريم

في شباب يسوع ورجولته

قد عرفت مريم ام يسوع قبل ان صارت امرأة ليوسف النجار ، وكنا معاً في ذلك الوقت غير متزوجتين .

في تلك الايام كانت مريم ترى رؤى وتسمع اصواتاً ، وتتكلم عن الخدام السماويين الذين يزورونها في احلامها .

وكان اهل الناصرة شديدي الاهتمام بها وكانوا يلاحظونها في ذهابها وايابها . وكانوا ينظرون اليها بعيون لطيفة ، لان جبهتها كانت رفيعة وخطواتها كانت سديدة .

ولكن البعض قالوا انها مجنونة . وقد قالوا هذا لانها كانت تتصرّف بحرية تامة في جميع اعمالها .

اما انا فقد كنت انظر اليها نظرتي الى شيخة طاعنة في السن مع انها كانت فتاة في منعة الشباب ، لانني رأيت حصاداً في ازهارها واثماراً يانعة في ربيعها .

فقد وُلدت ونشأت بيننا ، غير انها كانت في قريتنا كأنها غريبة من بلاد الشمال . وكانت في عينيها دائماً دهشة الغريب الذي لم يتعرف الى وجوهنا بعد .

وكانت لها نفس العجرفة التي عرفت بها مير يام القديمة التي خرجت مع شقيقيها من النيل الى البرية .

ثم خُطبت مريم ليوسف النجار .

*

وعندما حبلت مريم بيسوع كانت تتمشى بين التلال وترجع عند المساء وفي عينيها جمال فتان وألم عميق .

وعندما وُلد يسوع اخبرتني احدى الصديقات ان مريم قالت لامها : انا لست الا شجرة لم تقلم اغصانها بعد . فانظري انت في هذه الثمرة . وقد سمعت هذا القول مرتا القابلة .

وبعد ثلاثة ايام ذهبت لزيارتها ، فاذا هي مندهلة العينين مرتجفة الصدر ، وقد طوقت بكرها بذراعيها كما تطوق الصدفة درّتها الثمينة .

جميعنا احببنا ابن مريم وكنا نراقبه بعيون المحبة لانه كان ممتلئاً بقوة الحياة والنماء .

مرّت الفصول وتقضت الاقمار فصار الطفل صبياً كثير الضحك واللهو . ولم يعرف احد منا ماذا سيصير اليه هذا الصبي لانه كان يبدو للجميع كأنه من غير جنسنا. ولم يجسر احد على توبيخه قط مع انه كان كثير المغامرة وافر الشجاعة .

اقول انه كان يلعب مع الاولاد اترابه ، ولكنني لا اقدر ان اقول انهم كانوا يلعبون معه .

وعندما كان في الثانية عشرة من العمر قاد احد العميان الى عبر الجدول حتى اوصله الى الطريق العامة .

اما الاعمى فلكي يظهر له شكره سأله قائلاً : من انت ايها الصبي الصغير ؟

فاجابه : انا لست صبياً صغيراً . انا يسوع .

فقال له الاعمى : ومن هو ابوك ؟

فاجاب : الرب هو ابي .

فضحك الاعمى وقال : بالصواب اجبت يا بني . ولكن من هي امك ؟

فاجاب يسوع : انا لست بنياً لك . وامي هي الارض .

فقال الاعمى : فانظر اذن ، فقد قادني ابن الله والارض الى عبر الجدول .

فأجاب يسوع : سأقودك حيث شئت ، وسترافق عيناي قدميك . وكان ينمو كالنخلة الثمينة في بساتيننا .

وعندما بلغ التاسعة عشرة صار جميلاً كالأيل ، وكانت عيناه كالعسل ممتلئتين من دهشة النهار .

وكان على فمه عطش قطيع الصحراء للبحيرة .

فهو لا يمشي في الحقول الا وحده وعيوننا وراءه ، ومثلها عيون جميع الصبايا في الناصرة . ولكننا كنا نخجل امـــام جلال عينيه .

ومع ان المحبة خجولة ابداً من الجمال فالجمال كان وما يزال مطمح انظار المحبة .

ثم دعته الفصول ليتكلم في بساتين الجليل .

وكثيراً ما كانت مريم تتبعه لتصغي لاقواله وتسمع صوت قلبها ، ولكن عندما كان يذهب مع محبيه الى اورشليم لم تكن تذهب معهم .

لاننا نحن ابناء الشمال يهزأ بنا في الغالب في شوارع اورشليم حتى ولو كنا ذاهبين لنقدم تقدماتنا في الهيكل .

وكانت مريم فخورة بهذا المقدار حتى انها لم تشأ ان تسلم اباءها لسخرية اهل الجنوب .

وقد زار يسوع بلاداً اخرى في الشرق وفي الغرب . ومع اننا لم نعرف البلاد التي زارها ولكن قلوبنا كانت تتبعه .

ولكن مريم كانت تجلس على عتبتها تنتظره، وفي كل مساء كانت تحدق بعينيها الى الطريق تفتش عن رجوعه الى بيته .

بيد انها عند رجوعه تأتي الينا قـائلة : انه اعظم مـن ان يكون ابناً لي، وفصاحته تسمو على ادراك قلبي الصامت، فكيف ادّعيه لنفسي ؟

ويلوح لي ان مريم لم تستطع ان تصدق ان السهل قد ولد الجبل ، وفي بياض قلبها لم تنظر ان حرف الجبل هو الطريق الى قنّته .

فقد عرفت الرجل ، ولكن بما انه كان ابناً لها لم تجرؤ ان تعرفه .

وفي احد الايام ذهب يسوع الى البحيرة ليكون مع اصدقائه الصيادين ، فقالت لي مريم : من هو الانسان الا هذا الكائن القلق الناهض من الارض ، والحنين المتسامي الى النجوم ؟

ان ابني هو حنين بعيد . بل هو جميعنا متسامين بحنيننا الى النجوم .

هل قلت انه ابني ؟ فليسامحني الرب . ولكن قلبي يدلني على انني امه .

*

انه صعب عليّ جداً ان اخبركم اكثر من هذا عن مريم وابنها. ولكن ، وان طلع الحسك في حلقي ، ووصلت كلماتي اليكم وصول الكسيح الذي يدب على العصا ، فانا اود ان اقص عليكم ما رأيته وسمعته .

كانت السنة فخورة بشبابها ، وكانت شقائق النعمان تزين

رؤوس التلال عندما دعا يسوع تلاميذه وقال لهم: تعالوا معي الى اورشليم وشاهدوا ذبح الخروف للفصح .

وفي ذلك اليوم بعينه جاءت مريم الى بابي وقالت : انه ذاهب الى المدينة المقدسة، فهل لك ان تذهبي وتتبعيه معي ومع بقية النساء ؟

وللحال سرنا على تلك الطريق الطويلة وراء مريم وابنها حتى وصلنا الى اورشليم، وهنالك حيّتنا جماعة من الرجال والنساء على بوابة المدينة، لان مجيئه كان قد اعلن من قبل لاصحابه واحبابه، ولكن يسوع ترك المدينة في تلك الليلة مع اصحابه .

وقد اخبرونا انه ذهب الى بيت عنيا .

فاقامت مريم معنا في الفندق تنتظر رجوعه .

وفي مساء الخميس التالي القوا القبض عليه خارج الاسوار، وسجنوه .

وعندما سمعنا انه سجين لم تنطق مريم بكلمة قط ، ولكن ظهر للحال في عينيها تحقيق خفي لذلك الوعد بالالم والفرح الذي رأيناه عندما كانت عروساً في الناصرة .

انها لم تبكِ، ولكنها كانت تمشي بيننا فقط كأنها روح أمّ لا تريد ان تنتحب على روح ابنها .

فجلسنا منحنيات على الارض ، اما هي فكانت منتصبة وهي تروح وتجيء على ارض الغرفة .

وكانت تقف بين الهنيهة والهنيهة امام النافذة وتحدق بنظرها الى الشرق ثم تسرح شعرها باصابع يديها .

وعند الفجر بقيت واقفة بيننا ، كأنها علَم يخفق في قفر لا جحافل فيه .

قد بكينا لاننا عرفنا ما يحمله الغد لابنها ، اما هي فانها لم تبكِ لانها عرفت أيضاً ما سيصيبه .

كانت عظامها من صلب النحاس وقوتها من الدردار القديم.

وكانت عيناها كالسماء اتساعاً وشجاعة .

عمركَ الله ، هل رأيت قبرة تنشد في حين ان عشها يحترق في الهواء ؟

وهل رأيت امرأة تفيض كآبتها على دموعها ، او قلباً مجروحاً يرتفع حتى يسمو على المه ؟

انك لم ترَ مثل هذه المرأة لانك لم تقف في حضرة مريم ولم تحتضنك بعد الام غير المنظورة .

في تلك الساعة الهادئة التي كانت حوافر الصمت تضرب فيها على صدور الأرقين ، دخل يوحنا ، الابن الاصغر لزبدي،وقال: ايتها الام مريم ، ان يسوع ذاهب ، فهلمي نتبعه .

فوضعت مريم يدها على كتف يوحنا وخرجت معه ، ونحن تبعناهما .

وعندما وصلنا الى برج داود رأينا يسوع حاملاً صليبه وكان جمع غفير حواليه .

وكان معه رجلان آخران يحمل كلٌّ منهما صليبه .

وكان رأس مريم مرتفعاً ، وكانت تمشي معنا وراء ابنها ، وكانت خطواتها ثابتة .

وقد مشت وراءها صهيون وروما ، بل العالم اجمع ، لينتقم لنفسه من الرجل الحر الواحد .

وعندما وصل الى التلة رفعوه على الصليب .

فنظرتُ الى مريم ، فلم يكن وجهها وجه امرأة حزينة ، بل كان اشبه بمنظر الارض المثمرة التي تلد اولادها بغير انقطاع وتقبرهم بلا ملل .

ثم عرضت صورة تذكارات صبوته امام عينيها ، فقالت بصوت عظيم : يا ابني الذي ليس ابناً لي ، ايها الرجل الذي زار بطني مرة ، انني افاخر بقوتك . انني اعرف ان كل نقطة من الدم الجاري من يديك ستكون ينبوعاً تتكون منه انهار امة بأسرها

انت تموت الآن في هذه العاصفة كما مات قلبي مرة في غروب الشمس ، ولذلك لم احزن عليك .

في تلك اللحظة رغبت في تغطية وجهي بوشاحي لأهرب

راجعة الى الشمال . ولكنني سمعت فجأة مريم تقول : يا ابني الذي ليس ابناً لي، ما الذي قلته للرجل الذي على يمينك فجعله سعيداً في آلامه ؟ ان ظل الموت ضعيف على وجهه ، وهو لا يستطيع ان يحول عينيه عنك .

انت تبتسم لي الآن ، وهذه الابتسامة تدلني على انك قد غلبت العالم .

فنظر يسوع الى امه وقال لها : يا مريم ، كوني منذ الساعة أماً ليوحنا .

وقال ليوحنا : كن ابناً محباً لهذه المرأة . اذهب الى بيتها وليعبر ظلك تلك العتبة التي طالما جلست عليها . اصنع هذا لذكري .

فرفعت مريم يمينها نحوه ، فبدت كأنها شجرة ذات غصن واحد ، ثم صرخت قائلة : يا ابني ، الذي ليس ابناً لي ، اذا كان هذا من الله فليعطنا الله صبراً ومعرفة لحقيقته. واذا كان من الانسان فليسامحه الله الى الابد .

اذا كان هذا من الله فان ثلج لبنان سيكون لك كفناً ، واذا كان من هؤلاء الكهنة والجنود فقط فان لي هذا الثوب لعريتك .

يا ابني ، الذي ليس ابناً لي ، ان ما يبنيه الله هنا لا يمكن ان يزول ، وكل ما يهدمه الانسان سيظل مبنياً ، ولكن في نظر اسمى من نظر الانسان .

في تلك الدقيقة اسلمته السماوات للارض صوتاً ونسمة حية .
ومريم أيضاً اسلمته للانسان جرحاً وبلسماً .
وقالت مريم : انظروا الآن فقد مضى . قد انتهت المعركة واعطى الكوكب نوره . قد وصلت السفينة الى الميناء. والذي اتكأ فيما مضى على قلبي يتموج الآن في الفضاء .
واذ دنونا منها قالت لنا : انه حتى في الموت نفسه يبتسم . قد غلب العالم . ويسرني جداً ان اكون أماً للغالب .
ثم رجعت مريم الى اورشليم متكئة على ذراع يوحنا التلميذ الصغير .
وكانت امرأة قد تحققت آمالها .

*

وعندما وصلنا الى بوابة المدينة تأملتِ وجهها فأخذ الدهش بمجامع قلبي ، لان رأس يسوع في ذلك اليوم كان ارفع من رؤوس جميع الرجال ، ومع ذلك فان رأس مريم لم يكن أقل منه ارتفاعاً .
حدث كل هذا في فصل الربيع .
ونحن اليوم في فصل الخريف . وقد رجعت مريم أم يسوع الى بيتها وهي تقطن فيه وحدها .

*

منذ سبتين كان قلبي جامداً كالصخرة في صـدري ، لأن ابني تركني وسافر الى صور يطلب سفينة لانه يريد ان يكون ملاحاً .

وقد قال لي انه لن يرجع اليّ .

وفي احد الامساء سرت الى مريم .

وعندما دخلت الى بيتها كانت جالسة امام نولها ، وهي لا تلمسه لانها كانت تتأمل السماء البعيدة وراء الناصرة .

فقلت لها : السلام عليك يا مريم .

فمدت يدها اليّ وقالت : هلمي فاجلسي الى جانبي نراقب الشمس وهي تسكب دمها على التلال .

فجلست بجانبها على المقعد ، وكنا نتأمل الغروب من خلال النافذة. وبعد هنيهة قالت مريم: انني لا ادري من يصلب الشمس في هذا المساء .

فقلت لها : قد جئتك اطلب تعزية . ان ابني قـد تركني وذهب الى البحر ، وانا وحدي في البيت في عبر الطريق .

فقالت مريم : انني أود ان اعزيك ، ولكن أنّى لي ذلك؟

فقلت : اذا تكلمت عن ابنك فقط فانني اتعزى .

فتبسمت مريم ووضعت يدها عـلى كتفي وقـالت : انني سأتكلم عنه ، لان ما يعزيك انما يحمل لي منتهى التعزية .

وأخذت تحدثني ملياً عن يسوع ، وعن جميع ما كان منذ البدء .

ويلوح لي انها لم تفارق ابنها في كل حديثها .

فقد قالت لي : ان ابني هو ملاح كابنك ، فلماذا لا تسلمين ابنك لحنان الأمواج كما سلمت ابني ؟

ستبقى المرأة ابداً رحماً ومهداً ، بيد انها لن تكون رمساً. نحن نموت لكي نعطي حياة للحياة ، كما ان اصابعنا تحوك من الخيوط ثوباً لن نلبسه ابداً .

ونحن نلقي الشبكة لنمسك السمك الذي لن نأكله .

لاجل هذا نكتئب ونحزن ، ولكن في جميع هذا فرحنا وغبطتنا .

بهذا حدثتني مريم .

فتركتها ورجعت الى بيتي ، ومع ان نور النهار كان قد ولّى فقد جلست الى نولي أحوك القماش الذي لن البسه.

يوسف الملقب بيوستوس

يسوع الهائم

يقولون انه كان دنيئاً ، وثمرة خاملة لزرع خامل ، ورجلاً فظاً غليظاً .

ويقولون ان الريح فقط كانت تمشط شعره ، وان المطر فقط كان يغسل وجهه وثيابه .

ويقولون انه كان مجنوناً وينسبون اقواله للشياطين .

ولكن انظروا ايها الناس ، ان هذا الرجل الذي احتقروه قد استنهد اعداءه ، ولن ينقطع صوت مناهدته ، لانه ما من بشر يستطيع ان يقف في وجهه .

قد انشد انشودة ولا يستطيع احد ان يقيّد حريتها . فهي ترفرف بأجنحتها من جيل الى جيل، وتنهض من محيط الى محيط حاملة ذكرى الشفتين اللتين ولدت في احضانهما والاذنين اللتين كانتا لها مهداً .

قد كان غريباً. نعم نعم كان غريباً هائماً في طريقه الى المقام المقدس ، وكان زائراً يقرع ابوابنا ، وضيفاً من بلاد بعيدة .

بيد انه لم يجد بيننا مضيفاً عطوفاً، ولذلك رجع الى المكان الذي اعد له منذ انشاء العالم .

فيلبس

وعندما مات ماتت الانسانية كلها

عندما مات حبيبنا ماتت الانسانية كلها ، وسكن كل ما في الفضاء وامتقع لونه ، فالشرق اظلم ، وهبت من أعماقه عاصفة هوجاء اجتاحت كل الارض . وكانت عيون السماء تنفتح وتنطبق ، وتساقطت الامطار انهاراً فجرفت الدم الجاري من يديه ومن قدميه .

وانا ايضاً مت مع المائتين . وفي اعماق غفلتي سمعته يتكلم ويقول : يا ابتاه اغفر لهم ، لانهم لا يدرون ما يفعلون .

وقد طلب صوته روحي المختنقة فأرجعني الى الشاطىء ثانية .

ففتحت عينيَّ ورأيت جسده الناصع البياض معلقاً امام السحاب .

وقد تجسدت الكلمات التي سمعتها منه في اعماق قلبي فصرت رجلاً جديداً . ولم أعرف طعم الكآبة فيما بعد .

فمن يحزن على البحر الذي يحسر القناع عن وجهه ، او الجبل الذي يضحك في الشمس ؟

هل خطر على قلب بشرٍ ، وقد طعن ذلك القلب ، ان يقول مثل هذه الكلمات ؟

واي قاض من قضاة البشر صفح عن قضاته ؟ وهل سبق للمحبة في كل أدوارها ان تغلبت على البغض بمثل هـذه القوة الواثقة بذاتها ؟

وهل سمعت الانسانية صوتاً كصوت هذا البوق الداوي بين الارض والسماء ؟

هل سُمع من قبل ان القتيل يسترحم لقاتله؟ او ان الشهاب يوقف سيره من اجل الخلد ؟

اجل ، ستنقضي الفصول وستطوى السنون قبل ان يزول من الارض اثر هذه الـكلمات : يا ابتـاه اغفر لهم ، لانهـم لا يدرون ما يفعلون .

وانا وانت ، وان ولدنا المرة بعد المرة، فاننا لن ننسى هذه الـكلمات . وها انا الآن امضي الى بيتي لأقف متسولاً رفيع الرأس على بابه .

بربارة اليمونية

يسوع اللجوج

كان يسوع صبوراً على الحمقى والبلداء، كما ينتظر الشتاء الربيع .

كان صبوراً كالجبل في الريح .

فكان يجاوب بلطف على جميع المسائل البليدة التي وجّهها اليه اعداؤه .

وكثيراً ما كان يصمت أمام المماحكة والمغالطة، لانه كان قوياً، وفي منال القوي ان يكون طويل الاناة .

ولكن يسوع كان ايضاً قليل الصبر .

فانه لم يطق صبراً على المرائين .

ولم يسلم سلاحه لمشعوذي الكلام والخبثاء .

ولم يكن في طوق انسان ان يسود عليه .

انه لم يصبر على الذين انكروا النور لانهم كانوا يعيشون في الظلام، والذين طلبوا علامات في السماء وكان الاجدر بهم ان يطلبوها في قلوبهم .

ولم يكن صبوراً على الذين وزنوا النهار وقاسوا السماء قبل ان اسلموا احلامهم للفجر والمساء .

كان يسوع صبوراً .

ولكنه كان أقل الناس صبراً .

فهو يريد منك ان تحوك الثوب ولو انفقت اعواماً بين النول وخيوط الكتان .

ولكنه لم يأذن لاحد ان يمزق قيراطاً واحداً من النسيج الذي تمت حياكته .

زوجة بيلاطس الى امرأة رومانية

المحبة والقوة

كنت امشي مع وصيفاتي في الغابات خارج اورشليم عندما رأيته مع بضعة رجال ونساء جالسين حوله، وكان يخاطبهم بلغة لم افهم سوى نصفها.

ولكن الانسان لا يحتاج الى لغة لكي يرى عموداً من النور او جبلاً من البلور، فالقلب يعرف ما لا ينطق به اللسان وما لا تسمعه الآذان.

كان يخاطب اصحابه عن المحبة والقوة. انني اعرف انه تكلم عن المحبة لانه كان في صوته لحن شجيّ، واعرف انه تكلم عن القوة لان جيوشاً جرارة كانت تسير مع اشارته. وكان لطيفاً، وانا لا اعتقد ان زوجي نفسه يستطيع ان يتكلم بالسلطان الذي تكلم به هذا الانسان.

وعندما رآني مارّة به توقف عن الكلام هنيهة ونظر اليّ بلطف، فاتضعت روحي امام نظرته، وادركت في اعماق نفسي انني مررت بإله.

وبعد ذلك اليوم كانت صورته تزورني في وحدتي عندما لم يزرني احد من الرجال او النساء ، وكانت عيناه تنفذان الى اسرار نفسي وانا مغمضة العينين ، وكان صوته سيداً في هدوء ليالي .

انني سجينة سحر هذا الرجل الى الابد ، ولكن السلامة في آلامي ، والحرية في دموعي .

انت لم تنظري ذلك الرجل ، يا صديقتي ، ولن تنظريه . فقد اختفى عن حواسنا ، ولكن هو اقرب اليّ اليوم من جميع الرجال .

رجل خارج اورشليم

يهوذا الاسخريوطي

جاء يهوذا الى بيتي في ليلة الجمعـة العظيمة في مساء عيد الفصح وقرع بابي بعنف شديد .

وعندما دخل نظرت اليه فاذا وجهه كالرماد . وكانت يداه ترتجفان كالاغصان اليابسة في الريح ، وكانت ثيابه مبللة كأنـه خارج من النهر ، لانه في ذلك المساء حدثت عواصف عظيمة .

فنظر اليّ فبانت عيناه كالكهوف المظلمة الممتلئة بالدم .

فقال : قد اسلمت يسوع الناصري الى اعدائه واعـدائي .

ثم فرك يديه وقال : قـــد اعلن يسوع انه سيقهر جميع اعدائه وأعداء امتنا ، فآمنت وتبعته .

وعندما دعانا اليه وعدنا بمملكة قديرة وسيعة ، ونحن بايماننا شددنا ازره لننال المراكز الرفيعة في بلاطه .

فرأينا انفسنا امراء نعامل هؤلاء الرومانيين بما عاملونا به .

وقد تكلم يسوع كثيراً عن مملكته ، حتى اعتقدت انه اختارني قائداً لمركباته ، ورئيساً لجنده ، ولذلك تبعت خطواته برضى وطمأنينة .

بيد انني وجدت أخيراً انه لم يطـلب مملكة ، ولم يقصد ان يحررنا من الرومانيين، لان مملكته لم تكن سوى مملكة القلب.

وكنتُ اسمعه يتكلم عن المحبة والرحمة والاحسان، وكانت نساء الشوارع تصغي اليه بلهفة وفرح شديد، اما انا فقد تمرمرت روحي وتحجر قلبي .

فان ملك اليهودية الذي وعـدت به نفسي تحول فجـأة الى ضارب على القيثارة ليسكّن حدّة افكار الهائمين والمتشردين .

فقد احببته كما احبه غيري من ابنـاء عشيرتي ، ورأيت فيه رجاء وعتقاً من نير الغرباء . ولكنه عندما لم يتلفظ بكلمة ولم يحرك يداً لتحريرنا من ذلك النير ، وعندما تطرّف فأعطى مـا لقيصر لقيصر، حينئذ ملأ اليأس زوايا قلبي وتبددت جميع آمالي. فقلت في سري : ان من يقتل آمالي سيُقتل،لان آمالي هي اثمن من حياة اي رجل كان .

ثم صرف باسنانه ، وحنى رأسه . وعندما تكلم ثانية قال: قد اسلمته . وقد صلبوه في هذا اليوم ... ولكن عندما مات على الصليب مات ملكاً. فقد مات في العاصفة كما يموت المنقذون وكما يموت العظماء الذين يعيشون فوق الاكفان والحجارة .

وفي كل وقت موته كان ممتلئـاً بالعطف واللطف ، وكان قلبه يفيض رحمة . فقد اشفق علي وانا الذي سلمته !

فقلت : قد اخطأت يا يهوذا خطأ فظيعاً .

فأجاب يهوذا : قد مات ملكاً ، فلماذا لم يعش ملكاً ؟

فقلت أيضاً : وقد ارتكبت جريمة هائلة .

فجلس هنالك ، على ذلك المقعد ، وكان صامتاً كالصخرة .

اما انا فكنت امشى جيئة وذهوباً مثقلاً بالحزن في الغرفة ، ثم قلت له ثالثة : وقد اقترفت خطيئة عظيمة .

ولكن يهوذا لم يقل كلمة ، بل ظل صامتاً كالارض .

وبعد هنيهة وقف ونظر في وجهي فبدا لي اطول مما كان .

عندما تكلم كان صوته كالسفينة المتحطمة ، وقال : لم تكن الخطيئة في قلبي . وفي هذه الليلة سأمضي واطلب ملكوته وماقف في حضرته والتمس صفحه .

فهو قد مات ملكاً اما انا فسأموت كخائن . ولكن قلبي يحدثني بأنه سيغفر لي . وبعد ان قال هذا لفّ جسده بعباءته جيداً وقال : حسناً فعلت بمجيئي اليك في هذه الليلة . وان كنت قد عملت على ازعاجك فهل لك ان تغفر لي أيضاً ؟

قل لاولادك واولاد اولادك : ان يهوذا الاسخريوطي اسلم يسوع الناصري الى اعدائه لاعتقاده ان يسوع كان عدوّاً لامته .

وقل ايضاً ان يهوذا في نفس اليوم الذي ارتكب فيه هذه الخطيئة العظمى تبع الملك الى درجات عرشه ليسلم نفسه للمحاكمة .

فسأخبره ان دمي أيضاً مشوق للتراب ، وروحي المخلعة تنشد الحرية .

ثم أمال يهوذا رأسه واسنده الى الحائط وصرخ قائلًا : ايها الرب الذي لا ينطق أحد باسمه حتى تقبض اصابع الموت على شفتيه ، لماذا حرقتني بنار لا نور فيها ؟

لماذا اعطيت الجليليّ شوقاً لأرض غير معروفة ، واثقلت كاهلي برغبة لا تتعدى البيت والموقدة ؟ ومن هو هذا الرجل يهوذا الملطخة يداه بالدم ؟

اعضدني لاطرده عني ، ثوباً بالياً ومتاعاً رثاً .

ساعدني لافعل هذا في هذه الليلة ، ودعني اقف ثانية خارج هذه الجدران .

قد سئمت هذه الحرية المقصوصة الجناح، وأحب سجناً اعظم من هذا .

احب ان اجري كجدول من الدموع الى البحر المر .
احب ان اكون رجلًا يتمتع برحمتك من ان اكون رجلًا يقرع على بوابة قلبه .

هكذا تكلم يهوذا، ثم فتح الباب وخرج الى العاصفة ثانية .

وبعد ثلاثة ايام زرت اورشليم وسمعت بكل ما حدث فيها، وهنالك عرفت أيضاً ان يهوذا رمى نفسه من قنّة الصخرة العالية .

قد فكرت كثيراً منذ ذلك اليوم ، وانا افهم سر يهوذا . فقد كمّل حياته الصغيرة ، التي تحركت كالضباب فوق هذه الارض المستعبَدة من الرومانيين، في حين ان النبي العظيم كان يصعد في الاغالي .

فالرجل الأول تاقت نفسه الى مملكة يكون هو فيها اميراً. اما الرجل الثاني فقد أراد مملكة يكون فيها جميع الناس امراء .

سركيس الراعي اليوناني الشيخ

(الملقب بالمجنون)

يسوع والاله بان

رأيت في حلم يسوع الناصري وإلهي «بان» جالسين معاً في قلب الغابة .

وكان كل منهما يضحك من خطاب رفيقه ، وكان الجدول الجاري امامهما يضحك معهما . ولكن ضحك يسوع كان اكثر بهجة . وقد تحدثا طويلاً .

فتكلم «بان» عن الارض واسرارها ، وعن اخوته ذوي الحوافر واخواته ذوات القرون ، وعن الأحلام . وتكلم عن الجذور وسكونها ، وعن العصارة التي تستيقظ وتنهض مترنمة في الصيف .

وتكلم يسوع عن الاغصان الصغيرة في الغابة، وعن الزهور والاثمار ، وعن البذور التي ستحملها في فصل لم يأت بعد .

وتكلم عن الطيور في الفضاء وتغريدها في العالم العلوي .
واخبرنا إلهنا عن الأيائل البيضاء في الصحراء ترعاها عينا القدير .

وقد سرّ «بان» بحديث الاله الجديد وارتعشت بشامتُه غبطة .

وفي نفس الحلم رأيت الصمت مخيماً على بانِ ويسوع وقد جلسا صامتين في سكينة الظلال الخضراء .

ثم أخذ بان زمّارته وزمر ليسوع .

وكانت الاشجار تهتز والخنشار يرتعش ، فتولاني خوف شديد .

فقال يسوع : ايها الاخ الصالح ، قد جمعت معابر الاحراج وفتن الصخور في زمّارتك .

فاعطى بان الزمارة ليسوع وقال : زمِّر انت الآن ، فقد جاءت نوبتك .

فقال يسوع : ان القصب في هذه الزمارة كبير على فمي ، فاسمح لي ان ازمر في هذا المزمار .

فأخذ مزماره وشرع ينفخ فيه .

فسمعت وقع المطر في الاوراق، وترنيم الجداول بين التلال، وسقوط الثلج على رأس الجبل .

نبضُ قلبي ، الذي اتخذ ضربه من الريح ، عاد ثانية الى الريح ، وتراجعت جميع امواج امسي الى شاطئي ، فصرت ثانية سركيس الراعي ، وتحول مزمار يسوع الى نايات رعاة لا عديد لهم يدعون قطعاناً لا تعد ولا تحصى .

فقال بان ليسوع : انت اقرب في شبابك الى الموسيقي مني

في شيخوختي . وفي سكوني قبل هـذا اليوم بوقت طويل قـد سمعت انشودتك وذكر اسمك .

ان صوت اسمك صالح عذب ، وهـو سينهض بقوة مـع العصارة الى الأغصان ، وسيركض بعزم مع الحوافر بين التلال.

ـ وهو ليس بالاسم الغريب عليّ ، مع ان ابي لم يدعني بذلك الاسم . ان مزمارك قد اعاده الى ذاكرتي .

والآن هلمّ بنا نزمر معاً .

فشرعا يزمران معاً .

وقد ضربت موسيقاهما السماء والأرض ، فوقع الرعب على جميع الاحياء .

فسمعت عجيج الحيوانات في الغـابة . وسمعت صراخ المستوحشين مـن الناس وشكوى الذين يتوقون الى مـا لا يعرفون .

وسمعت تنهدات العذراء على حبيبها ، ولهاث الصياد وراء صيده .

ثم رجع السلام الى موسيقاهما، فترنمت السماء والارض معاً.
كل هذا رأيته في حلمي ، وكل هذا سمعته ووعيته .

حنانيا رئيس الكهنة

كان يسوع من السفلة

كان من السفلة ، لصاً ودجّالاً وضارباً بالبوق لنفسه ، ولم يحسن الا في عيون المدنسين والمعدمين ، ولذلك لم يسر الا في مسالك الملطخين والفاسدين .

وقد سخر منا ومن شرائعنا ، وهزأ من شرفنا وضحك من وقارنا . وتمادى في غوايته فقال انه يهدم الهيكل ويدنّس الاماكن المقدسة . انه لم يعرف عيباً ، ولاجل هذا قضي عليه بموت معيب .

كان رجلاً من جليل الأمم ، واجنبياً من تلك البلاد الشمالية التي ما زال ادونيس وعشتروت ينازعان اسرائيل وإله اسرائيل السيادة عليها .

ان ذلك الذي كان يتلعثم لسانه وهو ينطق بخطب انبيائنا صار أخيراً مرتفع الصوت وهو يتكلم بلغة النغول الادنياء والسفهاء من اتباعه .

فهل كان في طوقي الا ان احكم عليه بالموت ؟

ألست انا حارس الهيكل ؟ ألست انا حافظ الشريعة ؟ وهل كنت قادراً ان ادير له ظهري قائلاً بكل طمأنينة : انه مجنون بين المجانين . دعه وشأنه حتى يقضي في هذيانه، لان المجانين والحمقى والذين تقطنهم الشياطين لا يقدّمون ولا يؤخرون في طريق اسرائيل ؟

هل كنت قادراً ان اصم اذني عن سماع صوته عندما دعانا كذابين ومرائين وذئاباً ، وحيّات واولاد الافاعي ؟

الا انني لم أقدر ان اصم اذني عن سماعه، لانه لم يكن مجنوناً، فقد كان مجذوباً بغرور نفسه ، فحمله هذا الغرور الجنوني على تهديدنا ومناهدتنا جميعاً .

لاجل هذا امرت بصلبه ، ليكون صلبه ناصحاً ونذيراً لجميع الذين ختموا انفسهم بخاتمه اللعين .

انني اعرف جيداً ان كثيرين انحوا عليّ باللائمة على هذا العمل وفريق منهم من اعضاء السنهدريم انفسهم ، ولكنني ادركت آنئذ كما ادرك الآن ان رجلاً واحداً يجب ان يموت عن الأمة قبل ان يضلل الأمة بأسرها .

قد غلبت اليهودية من عدو خارجي، ولكنني سأرى ألا تُقهر اليهودية ثانية من عدو داخلي .

فما من رجل من الشمال الملعون يستطيع ان يصل الى قدس اقداسنا ، او يمر بظله على تابوت العهد المقدس .

امرأة من جارات مريم

مرثاة

في اليوم الاربعين بعد موته جاءت جميع جارات مريم الى بيتها ليعزينها وينشدن مراثيهن .

وقد انشدت واحدة منهن هذه المرثاة :

الى اين يا ربيعي، الى اين ؟

والى اي فضاء آخر يتصاعد عبيرك ؟

وفي اي حقل آخر ستمشي ؟

والى اية سماء سترفع رأسك لتتكلم بما في قلبك ؟

ستقفر هذه الأودية ، ولن يكون لنا غير الحقول الجرداء القفراء .

ان جميع الأشياء الخضراء ستحترق في الشمس ، ولن تنتج بساتيننا سوى التفاح الحامض، وكرومنا لن تحمل غير العنب المر.

سنعطش لخمرتك ، وستحن مشامُّنا لعطرك .

*

الى اين يا زهرة ربيعنا الاول ، الى اين ؟

افلن ترجع الينا ؟

افلن يزورنا ياسمينك ، ولن ينبت بخور مريم روحـك في جوانب طرقها ليخبرنا أننا نحن أيضاً لنا جذور عميقة في الارض، وان انفاسنا غير المتقطعة ستظل صاعدة الى السماء أبداً ؟

*

الى اين يا يسوع ، الى اين يا ابن جارتي مريم ، ورفيق ابني الحبيب ؟

الى اين يا ربيعنا الأول ، والى اي الحقول الاخرى تسير ؟

هل ترجع الينا ثانية ؟

وهل تزور، في مدّ محبتك ، الشواطىء القيمة لاحلامنا؟

آحاز الجسيم صاحب الفندق

العشاء قبل الفصح

اني اذكر جيداً المرة الأخيرة التي رأيت فيها يسوع الناصري . فقد جاءني يهوذا عند ظهر ذلك الخميس ، وطلب اليّ ان اعدّ عشاءً ليسوع واصدقائه .

وقد اعطاني قطعتين من الفضة وقال لي : اشترِ كل ما تراه لازماً للعشاء .

وبعد ان تركنا قالت لي زوجتي : ان هذا بالحقيقة لشرف عظيم ، لان يسوع صار نبياً عظيماً ، وقد اجترح آيات وعجائب كثيرة .

وعند الشفق جاء يسوع وأتباعه ، وجلسوا في العلية حول المائدة ولكنهم صمتوا كأن على رؤوسهم الطير .

وقد جاؤوا في العام الماضي وفي العام الذي سبقه ، ولكنهم كانوا في ذلك الوقت فرحين ، فكسروا الخبز وشربوا الخمر وترنموا بترانيمنا القديمة ، ولم ينقطع يسوع عن محادثتهم حتى نصف الليل .

وبعد ذلك كانوا يتركونه وحده في العلية ويذهبون ليناموا في غرف اخرى ، لانه كان يرغب في الانفراد بعد نصف الليل .

وكان يظل مستيقظاً الليل بطوله ، لانني كنت اسمع وقع خطواته وأنا مضطجع في فراشي .

ولكن في هذه المرة الأخيرة لم يكن سعيداً لا هو ولا اصدقاؤه .

وكانت زوجتي قد اعدت سمكاً من البحيرة ودراريج من حوران حشتها بالأرز وحبوب الرمان ، واحضرت انا لهم جرة من خمرة سروتي .

ثم تركتهم لانني شعرت بأنهم راغبون في ان يكونوا وحدهم. وقد أقاموا في العلية حتى خيّم الظلام ، ثم انحدروا جميعهم معاً من العلية ، ولكن يسوع وقف هنيهة عند اسفل السلم فنظر اليّ والى زوجتي ، ثم وضع يده على رأس ابنتي وقال : ليلتكم سعيدة جميعاً . اننا سنأتي ثانية الى عليتكم ، ولكننا لن نتركم في مثل هذه الساعة الباكرة، وسنبقى معكم حتى تشرق الشمس فوق الافق .

قريباً نعود اليكم ونطلب منكم مزيداً من الخبز والخمر ، فقد احسنتم ضيافتنا وسنذكركم اذا اتينا الى بيتنا وجلسنا الى مائدتنا .

فقلت له : قد كان لي الشرف في خدمتك يا سيدي . ان بقية اصحاب الفنادق يحسدونني على زيارتكم ، فأضحك منهم مفتخراً في ساحة المدينة . وفي بعض المرات ابرم وجهي عليهم .

فقال : يجب ان يفتخر جميع اصحاب الفنادق بالخدمة ، لان

الذي يعطي الخبز والخمر هو أخ لذلك الذي يحصد ويجمع اغمار الحبوب ويحملها الى البيدر ، واخ لمن يعصر الخمرة في المعصرة. وانتم جميعكم كرماء ، لانكم تعطون من خيركم حتى لمن يأتي اليكم ولا شيء لديه سوى جوعه وعطشه .

حينئذ التفت الى يهوذا الاسخريوطي الذي كان يحمل كيس الجماعة وقال له : اعطني شاقلين .

فاعطاه يهوذا شاقلين وقال له : هذه آخر قطعة من الفضة في كيسي .

فنظر اليه يسوع وقال له : قريباً جداً سيمتلىء كيسك فضة.

ثم وضع الشاقلين في يدي وقال : اشترِ بهذا المال منطقة حريرية لابنتك ومُرها ان تلبسها في عيد الفصح تذكاراً لي .

قال هذا ونظر الى وجه ابنتي ثانية ، وانحنى وقبّل جبينها ، ثم قال ثانية : ليلتكم سعيدة جميعاً . وسار في طريقه .

يقولون لي ان ما قاله لنا قد دوّنه احد اصدقائه على رقٍّ عنده ، ولكنني اعدته على مسامعكم الآن كما سمعته من شفتيه .

انني لن انسى ما حييت رنة صوته وهو يقول هذه الكلمات: ليلتكم سعيدة جميعاً .

فاذا اردتم ان تعرفوا اكثر من هذا عن النبي الجديد فاسألوا ابنتي ، فهي امرأة الآن ولكنها لم تبدل تذكارات صباها بمال الارض كلها ، وهي اكثر استعداداً للكلام مني .

باراباس

كلمات يسوع الاخيرة

قد اطلقوني واختاروه . اما هو فنهض واما انا فسقطت .

وقد قبضوا عليه ضحية وتقدمة للفصح .

قد تحررتُ من قيودي ومشيت مع الجمع وراءه، ولكنني كنتُ رجلاً حياً يسير الى قبره .

كان الاليق بي ان اهرب الى الصحراء حيث يحترق العار بأشعة الشمس .

ولكنني مشيت مع الذين اختاروه ليحمل جريمتي .

وعندما سمروه على الصليب كنت واقفاً هناك .

وقد رأيت وسمعت، ولكن ما يدركـ فيَّ كان خارج جسدي.

فقال له اللص الذي صُلِب عن يمينه : وانت تنزف دماؤكـ معي يا يسوع الناصري ؟

فأجاب يسوع وقال : انني لولا هذا المسمار المغروس في يدي لكنت امد يميني وأصافحك .

اننا قد صُلبنا معاً ، ويا ليتهم رفعوا صليبك ليكون قريباً من صليبي . ثم نظر الى الارض وتأمل وجه امه ووجه شاب كان واقفاً بجانبها .

وقال : يا امي ، هوذا ابنك واقف بجانبك .

يا امرأة، هوذا الرجل الذي سيحمل نقط دمي الى بلاد الشمال .

وعندما سمع نواح نساء الجليل قال : تأملوا فهنَّ يبكين وانا اعطش .

قد رفعوني كثيراً فلا استطيع ان اصل الى دموعهن .

انني لن اشرب الخل والمرارة لاطفىء لهيب هذا العطش .

ثم انفتحت عيناه فنظر نحو السماء وقال : يا ابتاه، لماذا تركتنا؟

وبعد ان سكت هنيهة قال والرحمة تملأ صوته : يا ابتاه اغفر لهم ، لانهم لا يدرون ما يفعلون .

وعندما تلفظ بهذه الكلمات ظهر لي انني ارى امام عيني جميع الناس ساجدين امام الله يطلبون مغفرة عن صلب هذا الرجل الواحد .

ثم صرخ ثانية بصوت عظيم : يا ابتاه ، في يديك أستودع روحي .

واخيراً رفع رأسه وقال : قد انتهى ولكن على هذه التلة فقط . واغمض عينيه .

فمزقت سهام البرق وجه السماء الاسود ، وحدث رعد عظيم .

انني لم اعرف اليوم ان الذين قتلوه عوضاً عني قد عملوا على عذابي الذي لن ينتهي .

لأن صلبه لم يأخذ سوى ساعة واحدة .

اما انا فسأظل مصلوباً الى نهاية ايامي .

كلوديوس قائد المئة الروماني

يسوع القائد العظيم

بعد أن قبضوا عليه دفعوه اليَّ . وكان بيلاطس البنطي قد امرني ان اوقفه حتى الصباح التالي .

قاده جنودي اسيراً ، وكان طائعاً لهم .

وعند انتصاف الليل تركت زوجتي واولادي وسرت لزيارة دار الاسلحة . وكانت لي عادة ان اذهب وافتقد رجال حاميتي في اورشليم لأرى ان كل شيء على ما يرام ، وفي تلك الليلة زرت دار الاسلحة لانه كان سجيناً فيها .

وكان جنودي وبعض من فتيان اليهود يتلهون بالهزء به ، فاذا بهم نزعوا عنه ثوبه ووضعوا اكليلاً من شوك السنة الماضية على رأسه ، وأجلسوه امام عمود، وكانوا يرقصون ويصرخون حوله .

وأعطوه قصبة ليمسكها بيده .

واذ دخلت عليهم صرخ أحدهم وقال : انظر ملك اليهود أيها القائد .

فوقفت أمامه ونظرتُ اليه ، وللحال شعرت بخجل عظيم .
انني لم ادرِ لذلك سبباً .

فقد حاربت في غاليا وفي اسبانيا ، وخضت غمرات الموت مع رجالي ، ولكنني لم اعرف الخوف ، وقطُّ لم أكن جباناً .

ولكنني عندما وقفت أمام ذلك الرجل ونظر اليَّ هلع قلبي وفارقتني شجاعتي ، وشعرت بأن شفتيَّ قد ختمتا ختماً محكماً فلم أقدر ان انبس بكلمة .

فتركت دار الاسلحة من فوري .

حدث هذا منذ ثلاثين سنة . واولادي الذين كانوا اطفالاً في ذلك الوقت هم رجال الآن وهم يخدمون القيصر وروما .

ولكنني كلما اردت نصحهم احدثهم عن ذلك الرجل ، الذي كان وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة امام الموت يلتمس الرحمة والغفران لقاتليه .

ها أنا اليوم شيخ طاعن في السن ، وقد عشت أعوامي مكتفياً من كل شيء . ولكنني اعتقد انه لم يكن لبومبي ولا لقيصر من روح القيادة العظيمة ما كان لهذا الرجل الجليليّ .

لأنه منذ موته ، الذي جرى بدون مقاومة ، قد نهض من الأرض جيش جبّار ليحارب في سبيله . . . وهم يخدمونه ، مع انه ميت ، بما لم يحلم ، لا بومبي ولا قيصر ، بالحصول عليه من جنودهما في حياتهما .

يعقوب اخو الرب

العشاء الاخير

ألفَ مرة قد زارتني ذكرى تلك الليلة . واعرف الآن انها ستزورني الف مرة اخرى .

ستنسى الارض الاثلام المشقوقة في صدرها ، وستنسى المرأة الألم والفرح اللذين في ولادة الاولاد ، اما انا فانني لن انسى تلك الليلة ما حييت .

كنا في المساء خارج اسوار اورشليم ، فقال يسوع : لنذهب الآن الى المدينة لنتعشّى في الفندق .

وكان الظلام قد خيّم عندما وصلنا الى الفندق ، وكنا جياعاً .

فحيّانا صاحب الفندق وصعد بنا الى عليّة .

فطلب إلينا يسوع ان نجلس حول المائدة ، أما هو فظل واقفاً يحدّق بعينيه الينا .

فخاطب صاحب الفندق وقال له : احضر لي طستاً وابريقاً ممتلئاً ماء ، ومنشفة .

ثم نظر الينا ايضاً وقال بلطف : اخلعوا نعالكم .

فلم نفهم ، ولكننا عملًا بأمره خلعنا نعالنا .

فأحضر صاحب الفندق الطست والابريق ، فقال يسوع :

سأغسل ارجلكم الآن ، لأنه يجدر بي ان احرر أقدامكم من غبار الطريق القديمة وامنحها حرية الطريق الجديدة .

فتولانا جميعاً منتهى الدهش والخجل .

فوقف سمعان بطرس وقال : كيف اقدر ان ازعج معلمي وربي ليغسل قدميّ ؟

فأجاب يسوع : انني اغسل رجليك لكي تتذكر ان الذي يخدم الناس سيكون أعظم من جميع الناس .

ثم نظر الى كل واحد منا وقال : ان ابن الانسان الذي اختاركم اخوةً له ، ذلك الذي دُهنت قدماه في الأمس بطيوب العربية ونُشّفت بشعر امرأة ، يرغب الآن في ان يغسل ارجلكم .

فأخذ الطست والابريق وركع وغسل ارجلنا مبتدئاً بيهوذا الاسخريوطيّ .

ثم جلس معنا الى المائدة ، وكان وجهه كالفجر المشرق على معركة بعد ليلة كفاح سالت فيها الدماء .

فجاء صاحب الفندق مع زوجته يحملان الطعام والخمر .

ومع انني كنت جائعاً قبل ان ركع يسوع على قدمي فانني اضعتُ كل شهية للطعام ، وكان في حلقي لهيب مقدس لم اشأ ان اطفئه بالخمرة .

وأخذ يسوع رغيفاً من الخبز واعطانا قائلاً : قد لا نكسر الخبز معاً فيما بعد ، فلنأكل هذه الكسرة تذكاراً لأيامنا في الجليل .

ثم صبّ خمراً من الجرّة في كأس وشرب ، واعطانا قائلاً :

اشربوا هذه الخمرة تذكاراً للعطش الذي عرفناه معاً ، واشربوها ايضاً على رجاء العصر الجديد ، فاذا ذهبت ولم اكن معكم فيما بعد ، فكلما اجتمعتم هنا او في اي مكان آخر اكسروا الخبز واسكبوا الخمرة وكلوا واشربوا كما تفعلون الآن ثم انظروا حواليكم فعلكم تجدونني جالساً معكم الى المائدة .

وبعد ان قال هذا شرع يوزع علينا قطعاً من السمك والدُرّاج كما يطعم الطير فراخه .

ومع اننا لم نأكل الا القليل فقد اكتفينا ، ولم نشرب سوى نقطة صغيرة ، لأننا شعرنا بأن الكأس التي امامنا كانت فضاءً بين هذه الأرض وأرض أخرى .

فقال يسوع : فلننهض قبل ان نترك هذه المائدة ، ولنترنم بأناشيد الفرح التي ترنمنا بها في الجليل .

فنهضنا وأنشدنا بصوت واحد ، ولكن صوته كان أرفع من اصواتنا ، وكانت في كل كلمة من كلماته رنّة خاصة .

فنظر الى وجوهنا كلاً بمفرده وقال : أودعكم الآن . لنذهب الى ما وراء هذه الجدران . لنذهب الى الجثمانية .

فقال يوحنا بن زبدي : يا معلم ، لماذا تودعنا في هذه الليلة ؟

فأجاب يسوع وقال : لا تضطرب قلوبكم ، فأنا لا اترككم الا لأعدّ لكم مكاناً في بيت أبي . ولكن اذا احتجتم إليّ فاني

ارجع اليكم ، وحيث دعوتموني اسمعكم ، وحيثما طلبتني ارواحكم فهناك اكون معكم .

ولا تنسوا ان العطش يقود الى المعصرة ، والجوع الى وليمة العرس .

ان حنينكم يحملكم الى ابن الانسان . والحنين هو ينبوع الوجد المقدس والطريق المؤدية الى الاب .

فقال له يوحنا ثانية : اذا كنت بالحقيقة ستتركنا فكيف نهتدي الى مسراتنا ؟ ولماذا تتكلم عن الانفصال ؟

فقال يسوع : ان الظبي المطارَد يعرف سهمَ الصياد قبل ان يشعر به في صدره ، والنهر يعرف البحر قبل ان يصل الى شاطئه ، وابن الانسان قد سافر في طرائق الناس .

وقبل ان تخرج شجرة اللوز براعمها في الشمس ستطلب جذور شجرتي قلب حقل آخر .

فقال سمعان بطرس : يا معلم لا تتركنا الآن ، ولا تحرمنا مسرة حضورك بيننا ، فاننا نمضي حيث تمضي ونقيم حيث تكون مقيماً .

فوضع يسوع يده على كتف سمعان بطرس ، وتبسّم وقال له :

من يدري اذا كنت لا تنكرني قبل انتهاء هذه الليلة ، وتتركني قبل ان أتركك ؟

ثم قال فجأة : لنمضِ من هنا .

فترك الفندق وتبعناه ، ولكن عندما وصلنا الى بوابة المدينة لم نجد يهوذا الاسخريوطي معنا ، فعبرنا وادي جهنم ، وكان يسوع يتقدمنا ونحن نمشي بعضنا بجانب بعض .

واذ بلغنا بستان الزيتون وقف والتفت الينا وقال : استريحوا هنا ساعة .

وكان المساء بارداً مع ان الربيع كان في انتصافه ، وكانت أشجار التوت قد اورقت واشجار التفاح في كمال زهرها ، وكانت البساتين جميلة .

فطلب كل واحد منا جذع شجرة واتكأنا . اما أنا فاضطجعت تحت صنوبرة ملتفاً بردائي .

أما يسوع فتركنا ومشى وحيداً في بستان الزيتون ، وكنت اراقبه وجميع الرفاق الآخرين نيام .

فكان تارةً يقف فجأة بهدوء عجيب ، ثم لا يلبث ان يسير في البستان ذهاباً واياباً . وقد فعل هذا غير مرة .

ثم رأيته يرفع وجهه نحو السماء ويبسط ذراعيه الى الشرق والغرب ، فقد قال مرة : ان السماء والأرض والجحيم نفسه كلها من الانسان . فتذكرت قوله ، وأدركت ان الذي كان يتخطر امامي في بستان الزيتون هو السماء صارت انساناً ، وفكرت ان رحم الأرض لا هي بالبداءة ولا بالنهاية ، بل هي بالأحرى مركبة ومحطة ، ولحظة عجب ودهشة . وقد رأيت

الجحيم أيضاً في الوادي المعروف باسم جهنم ، الذي كان قائماً آنئذ بين يسوع والمدينة المقدسة .

وفيما كان واقفاً هنالك وأنا ملتف بثوبي على الأرض ، سمعته يتكلم ، ولكنه لم يكن يتكلم معنا. ثلاث مرات سمعته يتلفظ بكلمة الاب . وهذا كان كل ما سمعته .

وبعد هنيهة سقطت ذراعاه ، فوقف هادئاً كأنه سروة بين عينيّ وبين السماء .

اخيراً رجع الينا وقال لنا : استيقظوا وانهضوا ، فقد دنت ساعتي ، وقد خرج العالم عليّ مسلحاً للمعركة .

وبعد قليل قال : منذ هنيهة سمعت صوت أبي ، فاذا لم انظركم ثانية فتذكروا ان الغالب لا يتمتع بالسلام حتى يغلب .

وعندما نهضنا ودنونا منه كان وجهه كالسماء المرصعة بالنجوم فوق الصحراء .

ثم قبّل كل واحد منا في وجنته ، وعندما قبّل وجنتي شعرت بأن في شفتيه من الحرارة نفس ما في يد الطفل المحموم .

وفيما نحن على هذا سمعنا ضجيجاً عظيماً في آخر البستان كأنه ضجيج جمع غفير ، وعندما قرب منا رأينا جماعة من الرجال يتقدمون بمصابيح وعصي ، وكانوا قادمين بسرعة .

وعندما وصلوا الى سياج البستان تركنا يسوع وذهب ليستقبلهم ، وكان يهوذا الاسخريوطي يقودهم .

وكان الجمع يتألف من جنود رومانيين بسيوف وحراب

ورجال من اورشليم بنبابيت وفؤوس .

فتقدم يهوذا الى يسوع وقبّله ، ثم قال للرجال المسلحين : هذا هو الرجل .

فقال يسوع ليهوذا : قد صبرت عليّ يا يهوذا ، لأن هذا كان ممكناً لك في الأمس .

ثم التفت الى الرجال المسلحين وقال : خذوني الآن، ولكن ينبغي ان يكون قفصكم كبيراً ليسع هذه الأجنحة .

فهجموا وقبضوا عليه ، وكانوا يصيحون ويضجون .

اما نحن فقد حملنا الخوف على الهرب للخلاص منهم .

فركضتُ وحدي بين أشجار الزيتون ولم أفكر في أحد ، لأنني لم اسمع في تلك الساعة صوتاً غير صوت مخاوفي .

وفي اثناء الساعات القليلة التي تبقّت من تلك الليلة كنت هارباً متستراً ؛ وعند الصباح وجدت نفسي في قرية قريبة من اريحا .

فلماذا تركته؟ انني لا ادري ، ولكنني حزين لاني تركته، فقد برهنت على جبانتي بهربي من اعدائه .

واذ غمرني عار خجلي وندمي رجعت الى اورشليم فاذا هو سجين ولا يُسمح لأحد من أصدقائه بأن يكلمه .

ثم صلبوه ، فصنع دمه تراباً جديداً للأرض .

أما أنا فما زلت حياً ، ولكنني أعيش متغذياً بقرص العسل الذي جنته حياته .

سمعان القيرواني

كيف حملت صليبه

كنت اسير في طريقي الى الحقول عندما رأيته حاملاً صليبه والجماهير تتبعه .

فمشيت انا ايضاً في جانبه .

وقد اوقفه ثقل حمله غير مرة ، لان قوته كانت قد نفدت .

فتقدم اليّ أحد جنود الرومان وقال : تقدم ، فأنت قويّ العضلات متين البناء ، فاحمل صليب هذا الرجل .

وعندما سمعت هـذه الكلمات رقص قلبي طرباً وفرحت بهذه الفرصة ، فحملت صليبه شاكراً .

وكان الصليب ثقيلاً ، لانهم صنعوه من خشب الحور المشرب بأمطار الشتاء .

فنظر يسوع اليّ ، وكان عرق جبينه ينسكب جارياً على لحيته .

ثم نظر اليّ ثانية وقال : وانت ايضاً تشرب هذه الكأس ؟ انك بالحقيقة ستمتص حافتها معي الى منتهى الدهور .

واذ قال هذا وضع يده على كتفي الحرة ، وهكذا مشينا معاً الى تلة الجمجمة .

ولكنني بعد ان وضع يده على كتفي لم اشعر بثقل الصليب قط ، بل كنت اشعر بيده فقط ، وكانت كجناح الطير على كتفي .

ثم بلغنا الى رأس التلة ، حيث اعدّوا كل شيء ليصلبوه .

حينئذ شعرت بثقل الصليب .

بيد انه لم يتفوه بكلمة عندما غرزوا المسامير في يديه ورجليه ، ولم تخرج من فمه صرخة واحدة .

واعضاؤه لم ترتجف تحت طرقات المطرقة .

وقد خيّل اليّ ان يديه ورجليه كانت قد ماتت وهي ترجع آنئذ الى الحياة مستحمة بالدماء . وأما هو فكان ينشد المسامير كما ينشد الامير صولجانه ، وكان شائقاً الارتفاع الى الاعالي .

ولم يخطر لقلبي ان يشفق عليه لأن الذهول كان يملأ كياني ، وها ان الرجل الذي حملت صليبه صار لي صليباً .

فاذا قالوا لي ثانية : احمل صليب هذا الرجل . فاني لأحملنّه بملء الرضى حتى تؤدي بي طريقي الى قبري .

ولكنني التمس منه آنئذ ان يضع يده على كتفي.

قد حدث هذا منذ اعوام عديدة ، ولكنني كلما تبعت الثلم في حقلي ، وكلما غالبني النعاس قبل النوم، افكر بغير انقطاع في ذلك الرجل الحبيب ، واشعر بيده المجنحة ، هنا على كتفي اليسرى .

سيبورية ام يهوذا

تصف ابنها واطواره

كان ابني رجلاً فاضلاً مستقيماً، وكان لطيفاً رقيقاً في معاملتي، وقد أحب اهله ومواطنيه ، وابغض اعداءنا الرومانيين الملاعين الذين يرتدون الملابس الارجوانية مع انهم لا يغزلون خيطاً ولا يجلسون الى نول ، ويحصدون ويجمعون من غير ان يفلحوا او يبذروا بذاراً .

كان ابني في السابعة عشرة فقط عندما قبضوا عليه يرمي الحامية الرومانية بنباله وهي تمرُّ بكرمنا .

وفي ذلك العمر كان يحدّث أترابه من فتيان البلاد بمجد اسرائيل ، وينطق امامهم بأقوال وخطب عجيبة لم افهمها .

وكان ابناً محباً ، وكان وحيداً .

فقد شرب الحياة من هذين الثديين الناشفين الآن ، ومشى خطواته الاولى هنا في هذا البستان ، متمسكاً بهذه الاصابع التي هي اليوم كالقصبات المرتجفة .

بهاتين اليدين، اللتين كانتا آنئذ فتيتين طريتين كعنب لبنان،

قد خبأت حذاءه الاول في منديل من الكتان كانت قد اهدته اليّ امي. وما زلت احتفظ به في تلك الخزانة التي بجانب النافذة .

كان بكراً لي ، وعندما مشى خطواته الاولى شعرت انا ايضاً بأني اخطو خطوتي الاولى ، لان النساء لا يسافرن الا مقودات بأولادهنّ .

والآن يقولون لي انه مات منتحراً ، فقد رمى نفسه من الصخرة العالية لأن ضميره وبخه على تسليمه صديقه يسوع الناصري .

انني اعرف ان ابني قد مات ، ولكنني واثقة بأن ابني لم يسلم احداً ، لانه احب ابناء جنسه ولم يبغض احداً غير الرومانيين .

كان لابني ضالة واحدة هي مجد اسرائيل ، فلم يكن في اقواله او افعاله موضوع غير هذا الموضوع .

وعندما تعرّف الى يسوع على الطريق تركني ليتبعه . اما انا فقد عرفت في اعماق قلبي انه يخطىء اذا تبع اي انسان لانه خُلق ليكون متبوعاً لا تابعاً .

وقبل ان يودعني اخبرته بخطإه فلم يصغ اليّ .

ان اولادنا لا يصغون الى نصائحنا ، فهم اشبه بمدّ البحر في اليوم لا يلتمسون النصح من مد الامس .

ارجو من فضلكم الا تسألوني ثانية عن ابني .

فقد احببته وسأحبه الى الأبد .

ولو كانت المحبة في اللحم لكنت احرقه بالحديد الحامي واحظى بسلامتي ، ولكنها في النفس فلا يُبلَغُ اليها .

والآن أَنقطع عن الكلام ، فاذهبوا واسألوا اماً اكثر شرفاً من ام يهوذا .

اذهبوا الى ام يسوع ، فقد جاز السيف في قلبها ايضاً، وهي تخبركم عني فتفهمون .

امرأة من جبيل

مرثاة

ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبّي تموز .
مُرنَ قلوبكن فتذوب وتنهض فتجري كالدم دموعاً .
لأن الذي صُنع من الذهب والعاج لم يبقَ في الوجود .
فقد هجم عليه الخنزير البري في الغابة المظلمة ومزق جسده بأنيابه .

والآن فهو يضطجع ملطخاً مع اوراق الاعوام المنصرمة ،
ولن يوقظ وقع خطواته البذور الهاجعة في حضن الربيع .

ان صوته لن يأتي مع الفجر الى نافذتي ، وسأعيش وحيدة ابداً .
ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز ، لان حبيبي قد افلت مني ، ذلك الذي تكلم كما تتكلم الانهار ، ذلك الذي كان صوته وزمارته توأمين ، ذلك الذي كان فمه الماً ملتهباً فتحوّل الى عذوبة لذيذة ، ذلك الذي كانت المرارة تتحول على شفتيه الى شهد العسل .

ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز .

ابكين معي حول نعشه كما تبكي النجوم ، وكما تتساقط اوراق القمر على جسده الجريح .

بللن بدموعكن اغطية فراشي الحريرية ، حيث استراح حبيبي مرة في حلمي ثم ابتعد عني في يقظتي .

استحلفكن يا بنات عشتروت ، ويا كل محبي تموز .

اسندن صدوركن وابكين وعزينني .

لان يسوع الناصري قد مات .

مريم المجدلية

بعد ثلاثين سنة

مرةً ثانية اقول ان يسوع بالموت غلب الموت ، ونهض من القبر روحاً وقوة . وقد مشى في وحدتنا وزار بساتين وجدنا ومحبتنا .

فهو لا يضطجع هنالك في تلك الصخرة المنحوتة وراء الحجارة.

فنحن الذين نحبه قد رأيناه بهذه العيون التي فتح بصيرتها لترى ، ولمسناه بهذه الأيدي التي علمها كيف تنبسط .

اني اعرفكم انتم الذين لا تؤمنون به ، فقد كنت منكم وانتم كثيرون ، ولكن عددكم سيتناقص .

فهل يجب ان تكسروا عودكم وقيثارتكم لتشاهدوا الموسيقى فيهما ؟

او هل يجب ان تقطعوا الشجرة قبل ان تقدروا على الايمان بأثمارها ؟

انتم تبغضون يسوع لان رجلاً من بلاد الشمال قال انه ابن الله ، ولكنكم تبغضون بعضكم بعضاً لان كل واحد منكم يحسب نفسه اكبر من ان يكون اخاً للآخر .

انتم تبغضونه لان فريقاً قالوا انه ولد من عـذراء ، وليس من زرع رجل .

ولكنكم لا تعرفون الامهات اللواتي يذهبن الى القـبر في عذريتهنّ ولا الرجال الذين يذهبون الى قبورهم مختنقين بعطشهم.

انتم لا تعرفون ان الأرضْ زفّت الى الشمس، وان الأرض هي التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء .

ان هنالك خليجاً يتثاءب بين الذين يحبون يسوع والذين يبغضونه ، بين الذين يؤمنون وبين الذين لا يؤمنون .

فاذا بنت الاعوام جسراً فوق هذا الخليج فحينئذ ستعرفون ان الذي عاش فينا لا يموت ، وانـه كان ابناً لله كما اننا نحـن ايضاً ابناء الله ، وانه قد ولد من عـذراء ، كما اننا نحن أيضـاً قد ولدنا من الارض التي لا زوج لها .

غريب عجيب كيف ان الارض لا تعطي غير المؤمنين الجذور التي ترضع من ثدييها، والاجنحة التي بها يطيرون محلقين ليشربوا ويمتلئوا من ندى فضائها .

بيد انني اعرف ما اعرف ، وفي هذا كفاية لي .

رجل من لبنان

بعد تسعة عشر قرناً

يا سيد المرنمين .

يا سيد الكلمات التي لم ينطق بها .

سبع مرات قد وُلدتُ ، وسبع مرات قد متُّ بعد زيارتك المستعجلة وترحيبنا القصير .

وها انا احيا ثانية ، متذكراً العهد الذي رفعنا فيه مَدَّك يوماً واحداً وليلة واحدة بين التلال .

وبعد ذلك قد قطعت ارضاً كثيرة وبحاراً كثيرة .

وحيثما حملتني خيول الارض او سفن البحر كنت ارى اسمك اما صلاةً ترتفع من القلب او موضوعاً لمجادلة يقوم بها الفكر .

والناس حزبان : حزب يباركك وحزب يلعنك .

اما اللعنة فعربون الاحتجاج على الفشل .

واما البركة فترنيمة الصياد الراجع من التلال ظافراً غانماً .

ان اصدقاءك ما زالوا في وسطنا ، لتعزيتنا وعضدنا .

وأعداؤك أيضاً معنا ، لتقويتنا وتثبيت ايماننا .

وأمك معنا ، فقد رأيت نور وجهها في محيّا جميع الأمهات .

ان يدها تهز الاسرّة بلطف ، وتطوي الأكفان بعطف .

ومريم المجدلية لا تزال في وسطنا .

تلك التي شربت خل الحياة ثم خمرتها .

ويهوذا ، رجل الآلام والمطامح الصغيرة ، ما زال يمشي في أرضنا ، وهو ما برح يصطاد نفسه اذا لم يجد غيرها صيداً ، طالباً ذاته الكبرى بالانتحار .

*

ويوحنا ، الذي أحب شبابه الجمال ، هو معنا .

وهو ينشد الحانه وان لم يصغ اليه احد .

وسمعان بطرس ، الذي انكرك لتطول حياته في معرفتك ، هو أيضاً جالس أمام مواقدنا .

وهو قد ينكرك ثانية قبل مرور فجر يوم آخر .

بيد انه ابداً مستعد ان يُصلب في سبيل مبادئك حاسباً نفسه غير مستحق لهذا الشرف .

وقيافا وحنان ما زالا يتمتعان بنور يومهما ويحكمان على المجرم والبريء .

وهما ينامان على فراش من الريش في حين ان الذي حكما عليه تلعب السياط على ظهره .

*

والمرأة التي أمسكت بالزنى تمشي اليوم في شوارع مدننا

وهي تجوع للخبز الذي لم يُخبز بعد، وتعيش وحيدة في بيت فارغ . وبيلاطس البنطي هنا ايضاً ، فهو واقف باحترام امامك، ولا يزال يسألك، بيد انه لا يجرؤ ان يعرّض بمركزه أو يقاوم امة اجنبية، وحتى الساعة لم يفرغ من غسل يديه . وحتى الساعة تحمل اورشليم الطست وروما الابريق ؛ وبين الاثنين تنتظر ألف ألف يد لتغسل .

☆

يا سيد الشعراء ، يا سيد ما قيل وما انشد من الكلام .

قد بنى الناس الهياكل لسكنى اسمك .

وعلى كل قنّة رفعوا صليبك علامةً ودليلاً لأقدامهم الهائمة وليس لمسرة روحك .

فان مسرتك تلة وراء أفكارهم ولذلك لا تعزيهم .

فهم يحبون ان يكرموا الرجل الذي لا يعرفونه .

وأية تعزية في رجل نظيرهم ، ورأفته كرأفتهم ؟

أو في إله محبته كمحبتهم ، ورحمته هي رحمتهم ؟

انهم لا يكرمون الرجل ، الرجل الحيّ، الرجل الاول الذي فتح عينيه ونظر الى الشمس باجفان غير مرتعشة .

الا انهم لا يعرفونه ولا يريدون ان يكونوا مثله .

☆

انهم يريدون ان يكونوا مجهولين ، وان يمشوا في موكب غير المعروف .

انهم يحبون ان يحملوا الكآبة التي هي كآبتهم ، ولذلك لا يريدون ان يجدوا تعزية في مسرتك .

وقلبهم الوجيع لا ينشد التعزية التي في أقوالك وانشودتها .

اما آلامهم ، الصامتة المخلعة ، فانها تجعلهم مخلوقات مستوحشة لا يزورها احد .

ومع انهم يعيشون مع أهلهم وأبناء امتهم ، فهم يعيشون خائفين ولا صديق لهم ، ولكنهم يحبون ان يكونوا وحدهم .

واذا هبت الريح الغربية ينحنون الى الشرق .

انهم يدعونك ملكاً ، ويريدون ان يجلسوا في بلاطك .

ويقولون انك انت ماسيّا ، بيد أنهم يريدون ان يمسحوا انفسهم بالزيت المقدس ، الا انهم يريدون ان يعيشوا على حسابك .

*

يا سيد المرغين ،

قد كانت دموعك كشآبيب المطر في ايار (الشهر الخامس) .

وكان ضحكك كأمواج البحر الأبيض .

وعندما تكلمت عبّرت كلماتك عن همس بعيد لشفاههم ، في الوقت الذي كان يجب على تلك الشفاه ان تستنير بالنار .

فقد ضحكت للنخاع في عظامهم الذي لم يكن مستعداً للضحك .

وبكيت لعيونهم التي لم تكن تعرف الدموع بعد .
وكان صوتك أباً عطوفاً لأفكارهم وأفواههم .
بلى ، وكان أماً رؤوماً لافوالهم وأرواحهم .

*

سبع مرات قد وُلدتُ ، وسبع مرات قد متُّ .
وها أنا أحيا ثانية فأراك
محارباً بين المحاربين ، وشاعر الشعراء ، وملكاً فوق جميع الملوك .
ورجلاً نصفه عارٍ بين رفاقك من عابري السبيل .
في كل يوم يحني الاسقف رأسه عندما يتلفظ باسمك الكريم.
وفي كل يوم يقول المتسولون :
من اجل المسيح ، اعطونا نحاسةً لنشتري بها خبزاً !
نحن نتوسل بعضنا الى بعض ، ولكننا بالحقيقة لا نتوسل لغيرك .
فنحن كالمد الفائض في ربيع حاجاتنا ورغباتنا .
وعندما يأتي خريفنا نصير كالجزر الشحيح .
فسواء كنا عظماء او وضعاء فان اسمك على شفاهنا ،
أنت السيد غير المتناهي ، للعطف غير المتناهي .

*

يا سيد ساعتنا المستوحشة ،
هنا وهناك ، بين المهد والكفن ، أرى اخوتك الصامتين ،
الرجال الاحرار غير المقيدين ، ابناء امك الارض والفضاء .
فهم كطيور السماء ، وكزنابق الحقل .
وهم يحيون حياتك ويفكرون أفكارك .
ويرجّعون صدى انشودتك .
ولكن أيديهم فارغة ،
ولا يُصلبون مع الصلب العظيم ، وفي هذا المهم .
ان العالم يصلبهم في كل يوم ، ولكن بطرائق بسيطة .
فالسماء لا تهتز حين صلبهم ، والارض لا تتمخض بأمواتها .
فهم يُصلبون ولا أحد يشهد عذابهم .
ويديرون وجوههم الى اليمين والى الشمال ،
فلا يجدون أحداً ليعدهم بمكان في ملكوته .
بيد انهم يريدون ان يُصلبوا المرة بعد المرة ،
ليكون إلهك إلهاً لهم ، وأبوك أباً لهم .
يا سيد المحبة ،
ان الاميرة تنتظر مجيئك في عليّتها المعطّرة ،
والمرأة المتزوجة في قفصها ،
والمومس التي تنشد خبزها في شوارع عارها ،
والراهبة التي لا زوج لها في صومعتها ،

والعاقر أيضاً ، امـام نافذتها ، تتأمل صورة الغـابة التي رسمها الصقيع على زجاج النافذة ، فتجدك في تناسب خطوطها ، فترضعك في احلامها وتتعزى .

*

يا سيد الشعراء ،

يا سيد رغباتنا الصامتة ،

ان قلب العالم يخفق مع نبضات قلبك ، ولكنه لا يحـترق مع أناشيدك. ان العالم يجلس ليصغي الى صوتك بفرح وطمأنينة ، ولكنه لا ينهض عن مجلسه ليزين حافات تلالك .

والانسان يحلم حلمك ، ولكنه لا يستيقظ مع فجرك الذي هو اعظم من حلمك .

وهو يريد ان يرى ببصيرتك ، ولكنه لا يجر قدميه الثقيلتين الى عرشك .

بيد ان كثيرين أُجلسوا على العروش باسمـك ، وتُوّجوا بقوتك فحولوا زيارتك الذهبية الى تيجان لرؤوسهم وصوالجـة لأيديهم .

*

يا سيد النور ،

الذي تقطن عيناه في أصابع العميان البصيرة ،

انك ما زلت تُحتقر ويُهزأ بك ،

رجلاً يحول ضعفك وسقمك دون صيرورتك إلهاً ،
وإلهاً تحول انسانيتك المتناهية دون حصولك على العبادة .
ان ما يقدمه الناس أمام عرشك من القداديس والترانيم ، والأسرار والذبائح ، انما هو لأجل ذاتهم السجينة .
فأنت وحدك ذاتهم البعيدة ، وصراخهم الشاسع ، وشوقهم وحنينهم .

*

ايها السيد ، ايها القلب السماوي ،
يا بطل أحلامنا الذهبية ،
انك ما زلت تتخطر أمامنا في هذا اليوم ،
فلا السهام ولا الحراب تستطيع ان توقف خطواتك .
لأنك تمشي بين جميع سهامنا وحرابنا .
انك تتبسّم لنا من أعاليك ،
ومع انك اصغر من جميعنا سنّاً ، فأنت أبٌ لجميعنا .

ايها الشاعر ،
ايها المرنم ،
ايها القلب الكبير ،
ليبارك الرب اسمك ،
والبطن الذي حملك ،
والثدي الذي ارضعك .
وليسامحنا الرب جميعاً !!

يسوع ابن الانسان


Bibliotheca Alexandrina
0420115